

كلمة العدد:

الإتحاف : حصاد أوّلي وبدايات متجدّدة

بقلم: حسام الهاني

إنّان وعشرون سنة من العطاء الأثيث، ومائة وثمانية وستون عدداً ذي أرسم دُرسٍ جُففت الإتحاف بها فتباهى الجميع بالإتحاف. نقول هذا، ونحن على مشارف موسم حصاد طيّب بعد أن أنعم الله علينا بالودق الكثير، إنّه موسم يستعدّ فيه الجميع دون استثناء لتقبّل نتاجات أرض طيّبة وفكر مستنير واقتصاد وسياسة طموحين ثمّ تحويلها إلى أمل ورؤية جديدين.

الإتحاف أيضاً، حقّ لها أن تنهّج لأنها هي الأخرى على مشارف موسم حصاد فكري ومعرفي طيلة ستة أشهر كاملة- بهذا التّوال الغزير منتهية إلى استرخاء قليل يؤسّس وقفة استطلاع وثبوت متجدّد لحركة ثقافية فاعلة. إذ ما يبدعه العقل البشري في مجال الفن عموماً إنّما هو في الحقيقة إثراء للمشهد الثقافي وتثبيت للذاكرة الجماعية ولكن لا يتحقّق ذلك إلّا في ظلّ مناخ ثقافي وحضاري يسمح بمخاطبة ملكة الفهم ويُذكر بأنّ إمبراطوريّة الأنا- الذات لا بدّ لها أن تركز لذاتها في تفاعل جدلي مع الأنا الجمعي.

- ذا الذي جعل المشرع التونسي يعتبر أنّ لكل مبدع ملكيّة لا بدّ من حمايتها وهي لعمري ليست ملكيّة عقارات ولا منقولات وإنّما

هي ملكية من نوع خاص تُعنى بما ينتجه الفكر البشري من إبداعات من خلال قانون 1994 المتعلق بالملكية الأدبية والفنية وهو قانون يُعبر عن إرادة جادة في تفعيل الحركة الثقافية في بلادنا.

وحين تختلف مواسم الحصاد حسب عطاءاتها، فإنَّ حصاد الإتحاف الفكري والمعرفي آخذٌ بداياته المتكررة نحو الإبداع والتألق معتبرا بإلحاح مبرر ضرورة تطوير شكله كما محتواه استجابة لتطورات العصر فيه.

-مائة وثمانية وستون عدداً لمجلة الإتحاف صدرت وبها قد رسمت في بعضها ما أهر ألبابنا، واثنان وعشرون سنة حلت فاحتفلت الإتحاف لتستشرف المستقبل وتُصالح كل من أنس في ذاكرته النسيان وتضيء الطريق لتعترف بأنَّ المعطى المعرفي والسيل الإبداعي قد يبتدأ من القرية ولكنه يجوب البحار ثم البحار. وإلا كيف يكون أحمد ابن أبي الضياف مُنطلقاً، مُصلحاً، مُلتقياً مع العلامة ابن خلدون فمضيفاً للفكر البشري.

فبتلك السنوات والأعداد، وبهذا الحصاد الأولي تظلَّ مجلة كالطلوح ثابتة في الأرض شاهقة في السماء تستشرف المستقبل بشأور بعيدٍ معتمدة في ذلك على ما يُريغه الأحبة من وفاء الأصدقاء وصدق الأقلام وعزيمة هيئة تحرير.

من هو ابن أبي الضياف

بقلم : الأستاذ محسن ابن أبي الضياف

عرف الوزير الكاتب المؤرخ أبو العباس أحمد ابن أبي الضياف
النور في أوائل القرن الثالث عشر هجري سنة 1219 الموافق لسنة
1804 وهذا التاريخ هو الوارد في أغلب الكتب التي تعرضت للحديث
عن حياة هذا المؤرخ سواء منها عنوان الأريب لمحمد النيفر أو مجمع
الدواوين لمحمد السنوسي، أو الإعلام لخير الدين الزركلي أو في
ترجمة له وهي المتصدرة لتاريخه المطبوع وهي للشيخ العلامة محمد
البشير بن الخوجة. <http://Archivebeta.Sakhril.com>

إلا أن هناك رواية أخرى اعتمد عليها صاحب كتاب "المؤرخون
التونسيون" في القرون 17-18-19، ترى أن المؤرخون التونسيون ولد
سنة 1217هـ وذلك استنادا على ما جاء من تصويب للأسرة في الرائد
الرسمي بتاريخ ميلاد المؤرخ بعد المقال الذي نشره محمد السنوسي مدير
الجريدة عن المؤرخ بعد بضعة أيام من وفاته.

ولا شك أن التاريخ الثاني أي سنة 1217 هو الأدق، فأحمد بن
أبي الضياف هو من أسرة تنتمي بالنسب إلى قبيلة أولاد عون بجهة
سليانة.

وهي قبيلة كبيرة عرفت بتلاحم أعضائها واتحاد كلمتهم يملكون

أرضا واسعة خصبة، جعلتهم يعيشون في مأمن من الحاجة والخصاصة كما أن اتحادهم جعلهم يعيشون في مأمن من اعتداء المعتدين وغارات القبائل الأخرى، وقد كانت بلادنا أذاك قبائل وعروشا بعضها مستقر وبعضها رحل، ويقال أنها من أنصار الأسرة الحسينية، كما أن المؤرخ من أحفاد الولي الصالح "أحمد الباهي" المعروف بسليانة وقد أوقف على زاويته ملوك تونس أراضي شاسعة وبني "حمودة باشا" المرادي على قبره قبة.

وقد وفد والد المؤرخ وهو "الحاج بالضياف" إلى تونس وهو صغير السن لطلب العلم تحت رعاية وإشراف جدّه، وبترخيص منه، وقد كفله بعد أن مات أبوه في الطاعون الجارف فحفظ القرآن بزاوية سيدي أحمد الباهي المعروف اليوم بناحية باب (الأقواس) ثم انتقل إلى طلب العلم بمدرسة حوانيت عاشور، وتحصل على نصيب من العلم، ولكن الموت اختطفته منه جدّه الذي كان ينفق عليه وهو مازال لم يملأ وطابه من العلم فلم ير بدا من الالتحاق بوظيفة يكتسب منها فأصبح كاتباً عند القائد عثمان المملوك عامل قفصة.

وكانت للحاج ابن أبي الضياف خصال اتصف بها إلى آخر حياته، وهي الإخلاص والتعلّق لن يعمل معهم من رجال الحكم، وأدرك ذلك الباي عنه فبعد وفاة عثمان المملوك ألحقه بخدمة وزيره أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع الذي صار معه على نفس التنسيق من الإخلاص والوفاء حتى كان مطلعا على أدق حساباته وهو المعروف

بثروته الهائلة وتجارته الرَّابحة حتى يقال أحياناً إن ثروته لا تقل عن ثروة الدولة أي خزانة الدولة- ولما حاك الأعداء والحساد لصاحب الطابع المكائد- وكان ما كان من قتله وعبث السفهاء بجسده المكرّم وجرّه مثل جيف البهائم، وبقاء هذا الشين من جمال هذه الحاضرة عمرها الله. وبعد القضاء على صاحب الطابع أُلقي القبض على أتباعه وأعوانه وأُلقي بهم في السجن ومن ضمنهم الحاج بالضياف الذي جرّد من كل ممتلكاته، وكان آخر من أخلي سبيلهم من أصحاب الوزير ظناً أنه يعرف كل خبايا ثروة صاحب الطابع وقال عنه المؤرخ متأثراً، "وخرج من ماله الذي آثره على طلب العلم، كيوم ولدته أمه ويوم تسريحه بعث له أبو عبد الله حسين باي بمائة محبوب ليزقّ بها أفراده، المتقولون من عيشهم إلى بيت أجدهم للام، وإعانة الوزير أبو عبد الله محمد العربي زروق بما سدّ رمقه من دارهم وقمّح وكسوة، ثم بقي يلاقي البؤس والضنك".

وكان إذاك مؤرخاً صبيّاً وليس أرسخ في نفوس الناشئة مما يعيشه الإنسان في صباه، فإن آثارها تظل عالقة بالنفوس، وربما تطرق الكثير منها لتكوين عناصر شخصيته، ولا ترحه حتى ولو غير الله الكثير من حياته ويقول المؤرخ عن أبيه: "ولا أزكيه وأنا ابنه، ولأهل الحاضرة عمّرها الله تعالى محبة فيه، رأيت أثرها بعد محنته وأنا صبي".

إلا أنه بعد مدّة رَدّ له اعتباره واجتباؤه أبو عبد الله حسين باشا والحقه بكتابة وزيره أبي عبد الله حسين خوجة ثم التحق بخدمة الوزير ابن محمد شاكر صاحب الطابع لما تقدّمت به السنّ.

وقد تعمّدت الإطالة في الحديث عن حياة الحاج بالضياف لاعتقادي جازما أن حياة هذا الأب-وما تردّي فيه من عن كادت تؤدّي به إلى الهلاك-أقوى تأثير على نفسية وتكوين شخصية ابنه أحمد الّتي لاحظ كيف قلبت الدّنيا ظهر المجن للأسرة وحتى يبتهم افتك منهم فالتجّروا إلى بيت جدهم للألم وما يصاحب ذلك من مذلة تغير الأحوال وشماتة الشامتين والحاquدين.

ولولا تلك المحن الّتي عرفها الأب لما كان لابن أبي الضياف تلك النفس الطموحة إلى الحرية والعدالة الاجتماعيّة في عصر كان فيه الحكم فرديا ولا كلمة إلا لرجل واحد هو الباي، وأن الحرية والعدالة أبعد ماتكون عن عقول القوم وأفكارهم وأسس حكمهم، فالناس كلهم رعايا، والرّعايا ليسوا إلا وسيلة لامتلاء خزائن الباي عن طريق المكوس والضرائب الّتي تنصاعدا أو تنخفص حسبما يراه الباي أو وزيره وهي إن انخفضت فموقنا الرعيّة واجتلاب قلوبهم، فإذا أَمِنَ الباي وورست قواعد عرشه بالانتصار على عدوه وخصمه عادت الأمور إلى ما كانت عليه بل أسوأ كما في ولاية ابراهيم الشريف باي.

وكانت أحوال العالم العربي لا تختلف في شيء عن تونس الّتي كانت تعتبر اذاك ولايات الدولة العثمانيّة، بل إن حكام تونس ومصر والجزائر وغيرها ليسوا إلا ممالিকা ومواليا أترাকা أو شراكسة نصبوا على حكم البلاد بأمر الباي العالمي، ثم أصبح الطريق إلى الحكم هو تطاحن من هولاء المماليك فيما بينهم، ومايجرّه ذلك الصراع من ويلات على أهالي البلاد، فإذا استتب الأمر لأحدهم راسل الباي العالي فيصله

الفرمان بترسيمه وتوطيد حكمه في تلك العمالة، وهو يتولى ارسال الخراج سنويا إلى الخليفة العثماني، وقد يطول الحكم بأسرة أحدهم كأسرة حسين بن علي بتونس وأسرة محمد علي بمصر وقد يقصر.. وفي كل الحالات المواطن لا يأمن على ماله ونفسه من جور الحاكم وبطشه.

وعندما كان العالم العربي على ما ذكرت خلال هذا القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر ميلادي، كانت أوروبا أو دول الافرنج تقف على أبواب عصر الازدهار والتكنولوجيا حتى أطلق على هذا القرن عصر التور، وظهرت أخبار جديدة ونظريات في الرياضيات والكيمياء والطبيعة غيرت الكثير من المفاهيم والعلوم والنظريات الموروثة. كما ظهرت الآلة البخارية وتغيرت وسائل النقل والمواصلات فيها فظهر القطار كما ظهر التلغراف الكهربائي سنة 1844 وظهر الهاتف في أواخر هذا القرن بأمريكا 1878.

ووقفت أوروبا كالعملاق منذ أوائل هذا القرن ترسخ دعائم حقوق الإنسان والمساواة بعد الثورة الفرنسية الدائمة، ورغم النكسة التي عرفت بها بعودة الامبراطورية على يد أحد قوادها نابليون بونابارت ثم عودة الملكية بعد هزيمة 1814، إلا أن الإنسان الأوروبي عرف رجة كبيرة وخرج رغم كل انتصحيات والعوائق من أعصر الظلم والحكم الفردي وتواطى الكنيسة مع الملوك لإخماد طموحات الشعوب الأوروبية.

وبذلك ظهرت الملكية الدستورية المشفوعة بمجالس نيابية ودساتير لا

يستطيع حتى الملك حرق بنودها، وظهرت طبقة جديدة هي البرجوازية التي تحولت إلى رأسمالية.

وكان عصر الصناعة، وكان لابد لهذه الرأسمالية الجديدة من أن تضمن المواد الأولية والأسواق لترويج الإنتاج، ونتيجة لذلك لابد من استعمار مزيد من البلاد حتى تضمن النجاح لمشاريعها.

وقد كانت الدولة العثمانية قوة عسكرية لذلك كانت ترهبها الدول الأوروبية، ولم تجرؤ على الاقتطاع من مملكتها إلا لما آمنت ضعفا منها، وأخذت تنفق وتتخاصم لاقتسام أجزاء من ميراث امبراطورية الرجل المريض بوسائل مختلفة بالحرب مثلا كغزو الجزائر أو بالدسائس كتحريض عرب الجزيرة العربية والشام على الثورة ومدهم بالمال والسلاح أو تحريض العرب على الاستقلال عن الدولة العثمانية كتنس ومصر، كل ذلك تحت شعار الحرية، والمساواة التي دعت إليه الثورة الأنجليزية ثم الفرنسية وغايتهم الخفية هي الاستلاء على هذه الممالك بيسر وسهولة عندما يعن لهم ذلك، فالرأسمالية الجديدة تتطلب كما سلف مواد أولية بأثمان زهيدة وأسواقا لترويج صناعاتها.

لذا رأينا جميع البلاد العربية وقعت تحت نير الاستعمار قبل نهاية القرن التاسع عشر إلا المغرب الأقصى ومناطق لم يروا لهم فيها فائدة تجني كالجزيرة العربية لأنها صحراء قاحلة صعبة الاستثمار.

وقبل ذلك سعت هذه الدول الأوروبية (بريطانيا وفرنسا وإيطاليا) إلى التودّد إلى البلاد العربية، وبثت قناصلها وجواسيسها وعملائها ومشتريها ومستعريها في أنحاء هذه البلاد بحثا عن الفترة المناسبة بل

أصبح لها نفوذ على الملوك وأسباب ظهور عهد الأمان أكبر دليل على ذلك...

وبواسطة بعض القناصل وسفراء بعض الملوك العرب أو الوزراء إلى أوروبا أدرك العرب البون الشاسع الذي يفصلهم عن الحضارة المعاصرة وطمحت نفوسهم الأبية ونفوس بعض ملوكهم الكبيرة إلى اللحاق بركب الحضارة فكان أشبه بالشرك الذين وقعوا فيه أو الطعم الذي مد به إليهم الأوروبيون ليصطادوهم بادعاء تمكينهم من أسباب الحضارة أو تحضيرهم كما يقولون.

في هذا القرن المضطرب المليء بالتناقضات الذي يتصارع فيه الواقع بالخيال والجهل بالعلم والطموح إلى إعادة الماضي المجيد وإرساء حاضر مشرق مع ضيق ذات اليد وأعباء التحلف معاش مؤرخنا وعائش هذه الأحداث، وكان من ذوي العزائم الضادقة الذين يحاولوا جاذين انتشارالبلاد من التحلف، والتقدم بها خطى في ميدان الحضارة المعاصرة وفي كتاب الاتحاف أكثر من موضع يؤكد ما ذكرنا.

ومن أهم الدعائم لاقامة دولة متقدمة في نظره هي الحرية والعدالة والبعد عن الحكم الفردي حتى يقول عن ابن عياد الذي احتلس أموالا ووثائق للدولة وفرّ إلى فرنسا وتجنّس بالجنسية الفرنسية، والحق أنه لا يعاب ابن عياد بنفس الهروب لأن الخائف على نفسه وماله بمقتضى العقد والشرع له أن يتحصن بما يراه مانعا وإلا كان ملقيا بنفسه إلى التهلكة والدولة يومئذ لا وازع فيها من شهوات الملوك (6).

لذا كان خلال عمله مع أربع بايات وهم (حسين وأحمد ومحمد

والصادق) يعمل على إرساء مذهبه بطرق مرنة مستعينا بثقافته في التشريع والفقه وبرجال الشرع أمثال شيخه شيخ الإسلام المالكي سيدي ابراهيم الرّياحي.

ورغم أفكاره فقد كان يحظى باحترام البايات، وتقديرهم لادراكهم صدق طويته، وإنه لا يرمي إلا إلى إصلاح مملكتهم. لذا لم يكن عندهم محرّد "كاتب" أو "باش كاتب" أو "وزير"، بل كان المستشار الذي يهتدى برأيه وسعة ثقافته والجلس المخالط وصاحب السر المطلع على أدق جزئيات الحياة الخاصة للأسرة المالكة إذ كان يستشار حتى في تزويج إحدى بنات الباي مثلاً، والعالم الذي يلتجئون إليه إن خفيت عنهم الأحكام الشرعية فيمدّهم بها بتجرّد العالم التزيه.

وبعد هذه النظرة عن عصر الكاتب والقرن الذي عاش خلاله، نعود إلى حياة المؤرخ فنستبعضها منذ طفولتها.

على أن المصادر التي ترجمت للمؤرخ شحيحة فلم نكد نعثر فيها على شيء من حياته الخاصة أو طفولته وأغلب ما يمكن الاعتماد عليه هو ما جاء في الإتحاف من حديث المؤرخ عن نفسه أو عن أبيه كما سبق.

فقد أنجب الحاج بالضياف بنتين ولكن لم ينجب من الذكور إلا أحمد، وقد كان شغوقاً به شديد العناية بتعليمه موصياً به المؤدبين ثم المدرسين وقد كان شاكر صاحب الطابع يعلم مدى تعلق بالضياف بابنه أحمد، لذا كان هو الآخر يوصي المشائخ به خيراً.

إلا أن أحمد لم يكن ذا بنية قوية بل كان منذ صباه نحيفاً إلا أن الله

قد عوّضه عن قوّة البنية بذكاء ووقار وحافظة جيّدة، ونشأ في ظل أب يطلب من الصالحين والعلماء الدعوات الصالحات لابنه حتى يكون ذا حافظة قوية تستوعب العلوم وتحيط بها.

ولعل الأب كان يأسف لعدم مواصلة تعلمه فأراد من ابنه أن يعرض ما لم يكتمل عند الأب وهذا أمر طبيعي، وبعد أن حفظ القرآن أخذ علوم القصة والتشريع واللغة عن أعلام عصره أمثال الشيخ التميمي شيخ الاسلام وابن عبد الله محمد البحري عبد الستار القاضي المالكي ومحمد يرم الثالث شيخ الاسلام وابن اسحاق ابراهيم الرياحي وهو شيخ اسلام مالكي في العصر الحسيني والشيخ أحمد بن الخوجة القاضي الحنفي والشيخ المناعي الكاتب والشيخ ابن ملوك العالم الصالح...

ولما ملأ من العلم وطابه كما يقال أنعم عليه الباي حسين بخطة العدالة سنة 1227 هجري سنة 1822 وقال ابن الخوجة وقد كانت أذاك من الخطط العالية الشأن مشار على صاحبها بالبنان وتصدر للعدالة بالحاضرة مع شيخه وأستاذه محمد المناعي الذي كان جليسه وقد كان له خير مرشد ونصوح في هذه المهنة فأخذ عنه وأتمّ تكوينه في حقول التوثيق والتقارير والرسائل.

غير أن أحمد بن أبي الضياف وهو في سن العشرين لم يكف بنشاطه العدلي بل كان كثيرا ما يرى إلى جدانِب أستاذه القاضي محمد البحري عبد الستار يحرّر له بعض الوثائق التي كان القاضي في حاجة إلى سرعة إنجازها، وهكذا انتشرت شهرته - التي لم تفارقه - ككاتب مثقف بارع التحرير ومتحدّث لبق ساهر الحديث، وبعد خمس سنوات من

مباشرة لوظيفة العدالة، وقد ذاع صيته ككاتب بارع، جلبه الباي حسين إلى العمل في القصر وأولاه كتابه سرّه وألحقه بكتابة وزيره الشهير شاعر صاحب الطابع على كره من أبيه وذلك سنة 1242 هجري وسنة 1827 م وأصبح مؤرخنا وهو في عنفوان شبابه الموظف السامي الذي يقوم بالاتصال بين الباي ووزيره للخزينة شاعر صاحب الطابع، بل أصبح يحظى بحضور مجالس الاستشارة وييدي رأيه في المسائل العليا للدولة.

وظل على تلك الحال إلى أن توفي مصطفى باي وتولى ابنه المشير أحمد باي الملك سنة 1253 هجري الموافق لسنة 1837 م الذي كانت له علاقات طيبة مع ابن أبي الضياف فقربه وعرف عفويته وجعله من خواصه وأصبح له الكاتب والمستشار والجلس يستعذب حديثه وروحه المرحّة وسعة علمه وثقافته فأوكل إليه أحمد باي أغلب أعمال باش كاتب، وهو إذاك محمد الأصرم لحزازة بينه وبين مصطفى خزنة دار ثم أصبح الباش كاتب لا يأتي إلى القصر إلا نادرا، ونظرا للخدمات التي قدمتها أسرة الأصرم إلى أسرة الحسينية فقد حافظ الباي على تسديد راتبه ولم يعز له من وظيفته ولكنه لم يرغب كذلك في حضوره، وتولى أحمد بن أبي الضياف وظائف باش كاتب دون أن ينال لقبها حتى أصبح بعض القناصل يكاتبونه بلقب باش كاتب.

وقد سبق لنا أن قلنا إن محنة الحاج بالضياف التي مرّ بها من عزل وسجن وأخذ كل أمواله كانت ذات تأثير كبير على تكوين شخصية ابنه الذي عاش بعض تلك المحنة في صباه، فقد اتعظ أحمد بن أبي

الضياف لما أصبح موظفا ساميا بالقصر بحياة أبيه الذي اشتهر بخصال، هي الوفاء المطلق للمخدوم وخاصة مع أبي النخبة يوسف صاحب الطابع، لذا فإن الابن أدرك خطر ذلك وتجنب الوقوع فيما وقع فيه والده من الارتباط الوثيق بالمخدوم بل حافظ على شيء من التوازن وعدم التورط مع ربط علاقات طيبة مع أعضاء الأسرة المالكة والوزراء إلا أن المؤرخ لم يستطع أن يمنع نفسه من الإعجاب والتعلق بالمشير أحمد باي الذي نال أكبر حظوة معه فأرسله في سفارات إلى تركيا وسافر معه إلى فرنسا، وكان مودع أسرارته وإن لم يعفه من النقد من إتخافه خصوصا في أحكامه الفردية.

وفي أول عهد أحمد باي كاتب الدولة التركية باللغة العربية لأول مرة برسائل حملها الشيخ ابراهيم الرياحي الذي سافر في سفارة الباي إلى تركيا محاولا إسقاط الخراج على تونس، وقد نجحت سفارته، وقد كان هذا الباي ولي نعمة ابن أبي الضياف حقا فهو الذي رقاہ إلى رتبة آلاي اميني في 28 محرم 1258 هـ، ثم رقاہ إلى رتبة قائم مقام في 25 محرم 1259 هـ - 1843م، ثم رقاہ إلى رتبة امير لواء وقلده نيشان الافتخار في سنة 1265 هـ و 1849، بل انه أراد تولية خطة شيخ الاسلام المالكي بعد وفاة أستاذه الشيخ ابراهيم الرياحي، إلا أن المؤرخ كان متعلقا بخدمة المخزن فرشح لها الشيخ أحمد ابن الحسين.

وبعد وفاة المشير أحمد باشا باي تولى الملك محمد باي الذي أبقي للمؤرخ امتيازاته وجلب معه صهره الشيخ بيرم الذي زاحم الكاتب في وظيفته وتولى حتى كتابة الرسائل إلى الملوك مكانه.

إلا أن هذا الباي يختلف عن سلفه الذي اشتهر بحب الاطلاع فكان محمد باي شديد التسرع في الأحكام وتنفيذها سفاكا للدماء. يستشير ولكن لا يعمل بما أشير عليه به، إنما ينفذ ما يراه هو وقد جرى عليه ذلك الولايات وأصبح الشيخ يرم يحتل الكثير من وظائف ابن أبي الضياف إلا أنه وقع خلاف بين المجلس الشرعي والباي، فأعيدت للمؤرخ مهامه وزادت حادثة اليهودي الذي يعمل كرطون عند القائد نسيم رئيس اليهود في رد كل اعتبار المؤرخ وبروز شخصيته على كل الجماعة المتلقة القصر من الممالك أو رجال الشرع.

فقد اتهم هذا اليهودي أنه سب دين الإسلام وهو سكران فقبض عليه وبلغ الأمر إلى الباي فأمر أن يحال على المجلس الشرعي لكن شيخ الإسلام الحنفي رفض النظر في هذه القضية وأحالها على المجلس الشرعي المالكي المعروف بتشده فحكم بقتل اليهودي وأبلغ الحكم إلى الباي فأمر بتنفيذ الحكم في نفس اليوم وأعدم، فثارت نائرة يهود فرنسا وقالو إن اليهود في تونس أصبحوا غير آمنين على دينهم وأرواحهم وأتى قنصل فرنسا إلى الباي وقال له كان الأجدر به أن لا يتسرع وكذلك فعل قنصل الأنجليز.

وأتى الأسطول الفرنسي في أوائل سنة 1274 وبها تسعة أبحان بها نحو سبع مائة مدفع وأمير عظيم من شيخ الفرنسيين اسمه تريوار، ورسى بخلق الوادي ونزل قائده ومعه الأعيان والتقى بالباي في قصره وطلب منه إيجاد قوانين تسير عليها دولته وتحفظ أمن وحقوق المواطنين وحرية الأديان ونحن أتينا لنعينك على من يخالفك على ذلك..

وعاد إليه قنصل الفرنسيين في الغد ونصحه بالقبول وأنه أمر لا بدّ منه، وكذلك فعل قنصل الانجليز وهدد الباي بأن أسطولهم بمالطة. وأذعن الباي بتهديدات أوروبا وأمر أحمد بن أبي الضياف بإعداد عهد الأمان إلا أنّ المؤرخ قال له إنّها مسؤولية كبرى إنما سوف أحرّر العهد اليلة ثم أقرأه عليكم فتقحمون منه ما تشاؤون وبعد عمل مرهق وسهر إلى آخر الليل أعد المؤرخ عهد الأمان، وفي الغد وقع تنقيح بعض بنوده بالزيادة أو النقص وإبقاء الأخرى على حالها، وأعجب قنصل فرنسا وانقلترا به وأخذ قنصل فرنسا نسخة منه وهو أول دستور تونسي وعربي، وأعاد المؤرخ تحريره بعد التنقيح وقدمه في قصر باردو بتاريخ 24 محرم 1274 سبتمبر 1857 أمام رجال الشرع والوزراء والقناصل وأمير البحر.

تلا جزءا منه المؤرخ ثم تولى تلاوة البقية الباجي المسعودي لنوبة من الكحة أملت بالمؤرخ نتيجة الإرهاق، إلا أن المؤرخ أحمد بن أبي الضياف لم يكن راضيا على هذا الدستور لأمور منها أنه مفروض من الدول الأجنبية، لأنه سوف يوفر امتيازات للأجانب لم تكن لهم، كحق امتلاك الأراضي وحرية التجارة والصناعة كبقية المواطنين من أهل البلد. وبعد وفاة محمد باي تولى الصادق باي العرش ولكن يبدو أنه لا يثق كثيرا في هذا الكاتب الذي يعرف كل أسرار الدولة والأسرة، لذا فقد جلب معه كاتب سره عبد العزيز بوعتور وأصبح مزاحما بكل جزءة لابن أبي الضياف في خطته ككاتب أول وأصبح يحرر الرسائل ويخاطب الملوك على لسان الصادق باي بل عندما توفي محمد الأصرم

فإن الصادق باي أولى عبد العزيز بوعتور في هذا المنصب وكانت صدمة ملمة للكاتب وأخذ يتوارى شيئا فشيئا ويتعد عن النشاط الإداري.

على أن هناك حزاة لا شك فيها بين الصادق باي وأحمد بن أبي الضياف فنحن نجد في ترجمة ابن الخوجة للمورخ رسالة من الصادق باي وهو ولي عهد أو باي لا محال مليئة بالثناء والتمجيد للمورخ ولكن فيها مرارة ولوم لعدم رد المورخ على خطاب كان أرسله الصادق باي لأحمد بن أبي الضياف.

ولما ارتقى ابن أبي الضياف إلى رتبة وزير ونال لقب أمير لواء في شوال 1277هـ - 1861م وقد أحدثت في مثل هذه السنة لجنة مكلفة بالنظر في القضايا بين التونسيين والأجانب وقد رفض القناصل ومواطنيهم الإنصياح للتشريع التونسي الجديد فاستند للوزير أحمد بن أبي الضياف رئاستها وقد أطلق المورخ على هذه المهمة التي أنيطت بعهدته "الحنة" لما تحمله من مشاق.

وبعد استقالة الوزير المصلح خير الدين في جمادي الأولى سنة 1279 الموافق لنوفمبر 1862م ولي خزنة دار رئاسة المجلس الكبير وعين ابن أبي الضياف مستشارا ثانيا لرئيس المجلس ثم سلم خير الدين في وزارة البحرية فولي خزندار الجمع بين رئاسة المجلس الكبير والوزارة الأولى ووزارة العمالة والشؤون الخارجية، ويقول أحمد عبد السلام في كتابه "المؤرخون التونسيون في القرن 17-18-19".

"هناك وثائق في الأرشيف يعود تاريخها إلى 1864/1867 تذكر أن أبي

الضياف أسندت له مهمة مستشار للشؤون الخارجية".

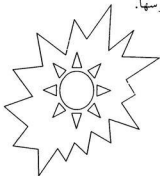
ثم توارى المؤرخ وانعزل عن كل نشاط إداري شيئا فشيئا إلى أن عاد خير الدين إلى الحكم سنة 1870 فأُسند إلى ابن أبي الضياف وظيفة مستشار أول بالوزارة الأولى، ولكن بعد سنتين اعتزل الوظيفة لظروف صحية ولازم بيته في ذي القعدة سنة 1286هـ الموافق لجانفي 1872 ولم يقطع عنه راتبه اكراما نه.

وتفرغ لكتابة تاريخه حتى أتمه ويقول في الصفحات الأولى من تاريخه عدد من التآليف-"لا سيما و الشبية ولت والقريجة كَلَّت والقوى أَلقت ما فيها وتخلَّت".

وتوفي المؤرخ يوم الثلاثاء سبعة عشر من شعبان 1291 الموافق لأكتوبر 1874.

وحضر جنازته المشير الصادق باي والوزراء والأعيان ودفن بجامع صاحب الطابع بالحلفاوين حذو قبر والده الحاج بالضياف.

على أن من نسل هذا الوزير أربعة أجيال متعاقبة ظلت تحتفظ للجد بمكانة عظيمة في نفوسها.



اللفظ

بقلم : عبد المجيد البراهمي

اللفظ حصن المعنى.

لفظ يلفظ لفظا. واللفظ هو الكلمة والجمع الألفاظ قال تعالى: "وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد".

واللّفاظ هو كلّ ما يطرح. واللفظة هي الملفوظ من الكلام، والبقايا من موائد الطعام. لفظ يلفظ لفظا أي نطق بالكلام والشيء لفيظ جمع لوافظ وملفوظ الإنسان نفسه. ألقاه في الساحل، يقال لفظت البلاد أهلها أي أخرجتهم.

واللفظ الكلمة في العربية: إسم وفعل وحرف، والإسم مفرد ومثنى وجمع، والجمع مذكر سالم، ومؤنث سالم، وتكسّر. والتكسّر للقلّة والكثرة، والإسم مرفوع ومنصوب وبحرور. والرفع بالضم الظاهر وبالضم المقدّر وبالواو وكذلك للنصب وللجر أنواع. وهذا الإسم يكون صحيحا ومعتلا. والمعتل واء ويائي. والحركات تظهر أو تختفي في أواخر الكلمات. أضف إلى ذلك أن الإسم كذلك يكون سالما ومقصورا ومتقوصا وممدودا ولكل من الأنواع تسمية خاصة وجمع معين لا يصح سواه.

والفعل له مشكلات شتى فهو ماض ومضارع وأمر وهو صحيح أو معتل ومرفوع أو منصوب أو مجزوم وثلاثي وغير ثلاثي ومبني ومعرب

ولازم ومتعدّ، ومتعدّ إلى مفعول أو مفعولين أو أكثر ولكل لون خاص من الاعراب وشكل معيّن من التصريف.

وحروف المعاني أقسام، فمنه ما هو مكوّن من حرف واحد أو حرفين أو من أكثر من الحروف ما اختص بالجر أو النصب أو بالجزم أو بالعطف أو بغير ذلك من الحروف ما يعمل ومنه ما لا يعمل ومنه ما يهمل منه الأصل ومنه الزائد ومنه شبه الزائد منه ما يحمل معنى واحداً ومنه ما يحمل عدة معان منه ما ينوب عنه غيره ومنه ما لا ينوب.

واللفظ الكلمة حسب رأي ابن سينا: "لفظ مفردة تدل على معنى وعلى الزمان الذي كان ذلك المعنى موجوداً فيه لموضوع ما غير معيّن كقولنا: مشى فإنه يدل على مشى لماش غير معيّن في زمان قد مضى واللفظ الجزئي بأنه يشير إلى شيء واحد معيّن غير قابل للانقسام والذي يمتنع صدقة على أكثر من واحد ولو بالغرض كأسماء الاعلام جميعها، ومنها أسماء البلاد والجبال والأنهار والأشجار وأسماء أفراد الإنسان برغم إشتراك عدة أشخاص في بعض الأحيان في الاسم نفسه على اعتبار أن عنصر المشاركة لا يذهب إلى حدّ تضمن خصائص مشتركة بين ذوي الاسم الواحد ما عدا الصفات الإنسانية المشتركة بين جميع أفراد النوع الإنساني وهي التعقل والحواية.

"وينقسم اللفظ من حيث المعنى إلى الذي وضع له إلى : مشترك، وعام، وخاص:

اللفظ المشترك: هو لفظ وضع لمعنيين أو أكثر بأوضاع متعددة فهو

يدل على ما وضع له على سبيل البديل أي يدل على هذا المعنى أو ذاك كلفظ: القز يدل على الحيض والطهر، ولفظ اليد في قوله تعالى: "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما" فإنه يعني اليمنى واليسرى، ويعني من رؤوس الأصابع إلى الرسفين وإلى المرفق والمنكب. والاشتراك قد يكون بين معنى لغوي ومعنى إصطلاحي شرعي، وقد يكون بين أكثر من معنى واحد من المعاني اللغوية. فإذا كان الاشتراك بين معنى لغوي ومعنى إصطلاحي شرعي وجب على المعنى الإصطلاحي دون غيره، فلفظ الطلاق موضوع لغة لحل أي قيد وموضوعا شرعا لحل قيد النكاح فإذا أريد معرفة المعنى المقصود من هذا اللفظ المشترك في قوله تعالى: "الطلاق مرتان" وجب أن تعرف أن المقصود هو المعنى الإصطلاحي. وإذا كان اللفظ المشترك مشتركا بين معنيين أو أكثر من المعاني اللغوية وجب حمله على معنى واحد منها بدليل بعينه، لأن الشارع لا يقصد عقلا من اللفظ إلا أحد معانيه، وللقاضي أن يستدلّ بالقرائن والآمارات التي تعين المعنى المراد، ومثال اللفظ المشترك بين معنيين لغويين الواو في قوله تعالى: "ولا تأكلوا مما لم يذكر إسم الله عليه وإنه لفسق" فالواو لفظ مشترك يستعمل لغة للعطف، كما يستعمل للحال، فإن أريد به الحال كان النهي واردا على ما لم يذكر إسم الله عليه، والحال أنه فسق أي ذكر عليه حين ذبحه إسم غير إسم الله، وإن أريد به العطف كان النهي واردا على ما لم يذكر اسم الله عليه مطلقا، سواء ذكر عليه حين الذبح اسم غير اسم الله أم لم يذكر.

ومهما تعددت معاني اللفظ المشترك فإن الشارع لا يقصد إلا أحدها دون آخر، ولأن بعض المعاني المتعددة توضح على سبيل البديل أي على أن يحلّ معنى بدلا من آخر، ولأن بعض المعاني متضاربة فلو جمع بينهما لكان المقصود المعنى وضده في وقت واحد.

اللفظ العام: هو لفظ وضع لمعنى واحد يتحقق في أفراد كثيرين غير محصورين، ويدلّ بوضعه اللغوي على شمول هذا الأفراد واستغراقها جميعا، مثل لفظ الوصية في قوله صلى الله عليه وسلم: "لا وصية لوارث" فهو يدل بوضعه اللغوي على شمول وصية، لأنه نكرة في سياق النفي وهي تدل على العموم.

والفرق بين اللفظ المشترك واللفظ العام وضع لمعانٍ متعددة، أما العام فموضوع لمعنى واحد يتحقق في أفراد كثيرين.

والألفاظ التي تفيد العموم تفحص بالاستقرار في سبعة أنواع:

1- لفظ كل ولفظ جميع، فكل منها ما يفيد شمول أفراد ما يضاف إليه قوله تعالى: "كلّ امرئ بما كسب رهين"

2- المفرد المعروف بأل الجنسية مثل قوله تعالى: "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما" وقوله: "وأحل الله البيع وحرّم الربا". فالمراد جنس السارق وجنس البيع وجنس الربا والجنس يتحقق في كل فرد، فينطبق النص على كل سارق وكل بيع وكل ربا.

3- الجمع المعروف بأن الجنسية أو المعروف بالإضافة مثل الأول قوله تعالى: "والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء" ومثل الثاني قوله تعالى

"حرمت عليكم أمهاتكم".

4- النكرة في سياق النفي مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:
:"لا يقاد والد بولده، وقوله:"لا وصية لوارث".

5- الاسم الموصول مثل قوله تعالى : "والذين يرمون المحصنات لم يأتيو
بأربعة شهداء فأجلدوهم ثمانين جلدة"

6- اسم الشرط مثل قوله تعالى:"ومن يقتل مؤمنا متعمدا" وقوله:"ولا
تكنموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه".

7- اسم الاستفهام مثل قوله تعالى:"من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
فيضاعفه له" **

فكل لفظ من أي نوع يفيد بوضعه اللغوي العموم والشمول.

وحول تنافر الألفاظ والحروف قال الجاحظ:

ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم
يستطع المنشد إنشادها إلا بعض الاستكراه. فمن ذلك قول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب غير حرب قبر

ولما رأى من لا علم له أن أحدا لا يستطيع أن ينشد هذا البيت ثلاث
مرات في نسق واحد فلا يتنعع ولا يتلجلج، وقيل لهم إن ذلك إنما
اعتراه إذ كان من أشعار الجن، صدقوا بذلك. ومن ذلك قول ابن
يسير في أحمد بن يوسف حين استبطاه:

هل معين على البكاء والعويل أم معز على المصاب الجليل

ميت مات وهو في ورق العيش مقيم به وظل ظليل

في عداد الموتى وفي عامري الدنـ يا أبو جعفر أخي وخيلي
 لم يمت ميتة الوفاة ولكن مات عن كل صالح وجيل
 لا أذيل الآمال بعدك إني بعدها بالآمال حق بخيل
 كم لها وقفة بباب كريم رجعت في نداء بالتعطيل
 لم يضرها، والحمد لله شيء وأنثت نحو عزف نفس ذهول
 تفقد النصف الأخير من هذا البيت، فانك ستجد بعض الفاظه يتبرأ
 من بعض .

وأنشدني أبو العاصي قال: أنشدني خلف الاحمري في هذا المعنى:
 وبعض فيض القوم أولاد علة يكذّ لسان الناطق المتلفظ
 وقال أبو العاصي: وأنشدني في ذلك أبو البداء الرياحي:
 وشعر كبحر الكيش فرق بينه لسان دي في القريض دخيل
 أما قول خلف:
 وبعض قريض القوم أولاد علة،

فإنه يقول: إذا كان الشعر مستكرها، وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا
 يقع بعضها مماثلا لبعض، كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات وإنما
 كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضيا موافقا، كان على
 اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة.

قال وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فأعلم
 بذلك أنه قد أفرغ واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان
 كما يجري الدهان.

وأما قوله كبير الكيش فإنما ذهب إلى أن بحر الكيش يقع متفرقا غير مؤتلف ولا متجاوز. وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملسا ولينة المعاطف سهلة، وتراها مختلفة متباينة، ومتنافرة مستكرهة، تشق اللسان وتكدّه، والأخرى تراها سهلة لينة رطبة مواتية، سلسلة النظام خفيفة على اللسان حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد.

وقال سحيم بن حفص: قالت بنت الحطيثة للحطيثة: "تركت قوما كراما ونزلت في بني كليب بحر الكيش"، فعاتبهم بتفرق بيوتهم فقليل لهم: فأنشدونا بعض ما تباين ألفاظه، ولا تنافر أجزاءه. فقالوا قال الثقفى:

من كان ذا عضد يدرك ظلامته أن الدليل الذي ليست له عضد
تنو يدها إذا قل ناصره ويأنف الضيم إن أثرى له عدد
رمتني وسر الله بيني وبينها عيشة آرام الكناس رميهم
ريم التي قالت لجارات بينها ضمنت لكم ألا يزال بهم
ألا رب يوم لو رمتني رميتها ولكن عهدي بالنضال قديم
وأنشدوا:

وليست بذمية في الفرا ش وجابة بمحتمي أن يجيبا
ولا ذي تلازم عند الحياض إذا ما الشريب أراب شريبا
وقال أبو نوفل بن سالم لرؤية بن العجاج: يا أبا الجحاف، مت إذا
شئت. قال وكيف ذلك؟ قال: رأيت عقبة بن رؤية ينشد رجزا

أعجبني: قال: انه يقول: لو كان لقوله قرآن. وقال الشاعر:

مهاذبة مناجية قرآن منادية كأنهم الأسود

وأنشد ابن الاعرابي:

وبات يدرس شعرا لا قرآن له قد كان نقحه حولا فما زادا

وقال الآخر، بشارا:

فهذا بديه لا كتحجير قائل إذا ما اراد القول زوره شهرا

فهذا في اقتران الألفاظ. فأما في اقتران الحروف فإن الجيم لا تقارن

الطاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين، ولا بتأخير، والزاي لا تقارن

الطاء وإلا السين ولا الضاد ولا الذال، بتقديم ولا بتأخير وهذا باب

كبير. وقد يكفي بذكر القليل حتى يستدل به على الغاية التي إليها

يجري*

ARCHIVE

قال وزير المأمون محمد بن يزيد:

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

إصابة معنى المرء روح كلامه فإن أخطأ فذاك موات

إذا غاب قلب المرء عن حفظ لفظه فيقظته للعالمين سبات

الهوامش:

* راجع مقال للدكتور من مجلة الدعوة العدد 762 السنة 1400 هـ الصفحة 34-35-36

** راجع كتاب التشريع الجنائي الإسلامي لعبد القادر عوده ج 1 صفحات 194-195-196

* البيان والتبيين للمحافظ الجزء الأول الصفحات: 74-75-76

أنتربولوجيا

ترجمة ذاتية لشاعر أمام الموت

بقلم : د. الحبيب النهدي

عرفت صديقي الشاعر محبوب الطرابلسي منذ أن بدأ يتلمس طريقه نحو حرق الكلمة وشاعرية الذات، كان وجهه يعبر عن أعماقه وانسياب قلقه اللاوجودي يربك كل من لا يعرفه، وقتئذ عرفت أن الشعر بلا معرفة الشاعر يظل سرًا مغلقًا على عالم التأويلات، لقد كنت أراه في المكتبة العمومية يتلمس الكتب بسيالات روحه وكان يرد علي بعضًا من القصائد التي حفظها.

ونحن نتواصل ونتعارف لأننا ذقنا من شجرة المعرفة وأمام غربتنا ولأننا نحب الأدب لا بد أن نتعرف لبعضنا البعض بعقريّة كل واحد فينا لعل ذلك ينسينا التكرار والتجاهل. أن تكون شاعرا في أناس يقتلهم الدرهم هو أن تكون مسخرة الزمان.

لقد كان جميلا في علاقته لأن ميله إلى الشعر كان من لحمه ودمه وأعصابه وكان أغنى من الذهب والفضة. لأن المعاني هي الأرسخ والأدوم وهي التي تحصل الاستفهامات للذهب والفضة روحًا إنسانية، الجمال ولذة الشاعر التجمّل وإنشاء رسالة الكون بلغة شاعرية فياضة نحن في أمس الحاجة لها. التقيت الشاعر ذات مساء من مساءات الصيف حيث الغروب بدأ يحمر لون السماء. وانقلات الناس من حرّ البيوت إلى نسيم المساء...

كان اللقاء والأطفال يلعبون كفراشات حول الأضواء كان يتحدث عن "نرسيس" عن فلذة كبده مولوده الأبدى الخالد ديوان الحياة، رأيت دمعة في بريق عينيه وعشقا للسفر وموتا في الرحيل. تفحصت نرسيس فإذا بي أمام توهم شاعر لامس الأبعاد العميقة للإنسان وكان أكثر ما شدني صورة الموت نعم الموت، هذا اليقين الوحيد في الحياة هذه الشمس التي لا تنظر إليها مباشرة. ولكن الشاعر حاول أن يتفحص هذه الشمس الثانية فقلت ألا يكمن وراء نظراته للموت موقف إيجابي من الحياة..

خصوصا إذا علمنا أن الحياة والموت شيء واحد وأن الموت هو موضوع الشعر المركزي. لأن الشاعر يبحث عن الحياة حتى أنه يرى الموت ليس إلا معنى لتضمين الحياة وتمجيدها أو لعلني أدركت أن الشاعر الحساس لا يجد تفجر مشاعره وإحساسه، إلا في موضوع الموت الذي هو بوابة فهم الحياة.

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

1- الشعر ملحمة الحياة والموت؟! إن الشاعر ليس له تصوّر للموت فأرى صورة للموت لديه؟ هذا ليس مقالا وإنما هي خواطر حول أنثروبولوجيا شاعر أعرفه. بمعنى آخر، خواطر ذاتية تُحاول أن تتحدث عن إنطباعات السوسيولوجي حول العمل الفني للشاعر أغرفه بانطباعات من خلال عمل القراءة ومن خلال اللقاء بالشاعر إنه محاولة حية غواصة في تفاصيل العمل اليومي للمبدع كحالة يمكن أن تساعد علم الاجتماع الفني على دراسة الأبعاد الاجتماعية لشخصية الشاعر الذي يتأمل ويكتب عن الموت في مجتمع هو عضو من نسيجه الاجتماعي، فهي ذات اجتماعية بالأساس سنحاول أن ننظر إليها من خلال معرفة الموت فهي عبارة عن أنثروبولوجيا سيرة ذاتية لشاعر أمام الموت.

سنحاول أن نتناول دراسة الموت من خلال التجربة الشعرية ونبحث عن مواطن الخصوصية والنظرة وكذلك علاقة ذلك بالبنى الاجتماعية والثقافية والدينية والرمزية وإنما كتابة لاهي بالدراسة ولاهي بالمذكرات وإنما هي خواطر حول تجربة الشاعر كتبها بالذاكرة والحنين الذين شلّاني إلى الشاعر ولقد عرفت من خلالها تعميقا للمعاني من خلال إعانة الشاعر نفسه في هذه الخواطر...

لقد عاش الشاعر تجربة موت قريب له وهي الأمّ كما عاش أيضا تجربة موت صديق حميم في مستقبل العمر فماذا يستطيع أن يفعل الإنسان أمام الموت؟ لا شيء سوى أن يحمل الحدث معاني ويحوّل الأحاسيس إلى كلمات تعبّر عن حجم المأساة ليس مأساة الميّت وإنما الحي الذي ينظر إلى موته القادم.

فحدث الموت محرك لقوى الحياة. ودافع هام لصنع الحضارة بحيث تقاس حضارة مجتمع ما بتصوره حول الموت وهنا يبرز الموت لدى الشاعر كاستعادة للذكريات وللحنين لدافعية الحياة والرغبة في الاستزادة منها. إن العبارة الأكثر شحنة هي العبارة التالية "لن نموت ونحن نهُوي" نرسيس تياريح العشق "ص33" إذ من خلالها يتجسّد دور الحب الذي لولاه لما كان للموت أي معنى وانتهى باعتباره مأساة وعدماً، بالتالي تفقد الحياة نفسها معناها.

كما تصبح الحياة بلا معاني الاحساس والانفعال والخوف والرجاء والحب والكره، تصبح بلا طعم ولا ذوق فينتهي الإنسان من الوجود بانسا يأخذه الموت ويلقى حتفه من غير ضجة ولا حب وما أعظم الحب الذي يقهر الموت ويقهر الغياب. وما أسعد الإنسان عندما يجد من يحبه ويحب من

يحب. فالشعر هو ملحمة لولادة الحياة من الموت والموت في تفاصيل الحياة اليومية بما فيها من تناقضات حلوة.

الحب سر كلمة الشاعر، وما يعني بالموت إلا خوفه من ضياع هذا الحب، وهذا الموت لا يقدر أن يطفئ شعلة الحب فيها أن موت الأم والأب والصديق ولو لم يكن هناك علاقة حب متينة؟ فهل الموت بهذا المعنى هو انكشاف الحب المطلق إلهي؟ أليس الشاعر هنا يريد أن يموت حبا في أحبابه الأموات ليصنع الأسطورة نرسييس. هذا إلاله المعجب بنفسه وما المثل في الموت بالنسبة إلى الشاعر إلا مرآة عاكسة لقوة انبعاثه وانبعاث موتاه الأحياء من خلال طين اللغة وروح الكلمة التي يصنعها الشاعر عندما يغني قصائده بصوته الذي له صدى الصرخات التي تريد أن تتوزع في الكون... ونحن نعلم أن الصوت يظل في الأسر ولا يتعدى. ولهذا واعتبارا لخصوصية هذا الإحساس الذي ينفرد به الشاعر بحده يقول "وإني أغامر في الموت والشعر... وحدي" نرسييس: كأني ليس يدركني إلا قول... الشاعر وحيدا في موقفه لأنه وحده يدرك شر الموت الجميل ومن هناك يكتب بطريقة فيها ميل إلى تأسيس الحب نحو إعادة حب جودهم من خلال روح الكلمات يقول الشاعر "سأكتب للميتين رسائل عشقي"

نرسييس جسدي هنا... وقلبي يرحل" ص71.

انطولوجيا يحاول الشاعر أن يستحضر الأموات من خلال الرثاء من خلال الحروف والكلمات هي نوع من الحضور... الخلود غير كلمات، الشاعر، هي نوع من الحياة وانبعاث لأمه وأبيه وصديقه... وهو من خلال هذا برز ذلك بالخصوص: "لا أموات ولن أموت ولن أموت. وهذه الكلمات أحفادي وأحفاد أحفادي" نرسييس جسدي هنا وقلبي يرحل،

فالإبداع هو نزعة نحو الفنّ وتحويل الحزن إلى لغة شاعرية فيها تلطيف الحزن، الشعر مسكن للأوجاع والآلام وهو محاولة لإعادة فوضى الموت وهذا الجانب التفاضلي لدى الشاعر يجعله يقهر الخوف من الموت "أحرقني الأماني يا أمي وأهديني الحريق إلى الحريق، لا يزور الموت أمثالي ولكن لو رأي يموت" هنا تكمن قوة الموت لأن الأمل يقهر الأم.

وهو من جهة أخرى نجده يطلب الموت الجميل المقبول المستحسن وفي ذلك نفهم هذه الجدلية بين مواجهة قلق الموت، وقبول الموت الذي يحرق الشاعر ويمنحه الحياة فهو يكتب "فلنمت كي نشرد حياتنا أو نشرد حياتنا" نرسيس إني أراك 95.

ومن خلال هذا السرد السريع نفهم أن الشاعر ينطلق من ثلاث مرجعيات اغريقية آلهة الموت ومرجعية فرعونية أليفا ثم مرجعية إسلامية إذ الموت بالنسبة إليه قدر إلهي علينا أن نرضى به، ولهذا، النظرة الطاغية لديه ما يمكن أن نسميه الموت المقبول دنيا وغضاليا فالشاعر يفضل الموت من أجل الشرف والوطن، وإذا يكون الموت في معركة الحياة.

"موت واقفا... لا قبر لك" نرسيس البراق ص 110. فهو يحرق الإنسان من طقوس الدفن الذي هو واجب الأحياء على الميت ويدعوه للموت واقفا... ونستشف من هذه العبارة أن الشهيد هو الوحيد الذي يموت واقفا في ساحة المعركة ولا ينحني للقهر.

كما أن موت الأم وموت الأب وموت الصديق دفعت بالشاعر نحو الاغتراب بالموت لأن مشاعر العاطفة ساقها الموت موت أفضل ما يملك الإنسان: الأم والأب إنها محاولة وتلمس "لنرسيس". أول هذا النص المكتوب الذي عبرت فيه عن أفكار من خلال ما عرفته عن الشاعر. وتبقى الدعوة

ملحة لدفع الشاعر إلى مواصلة الإبداع وندعوه بكلمات "نيتشه"، لا يستعجل موته وأن يشدو "الموت في الوقت المناسب" ومعرفة الحياة جيدا تمكن الإنسان من أن يتغير موته. و"نيتشه" نفسه يكتب، أجمد الموت الذي اختاره بإرادتي ولكن السؤال اللغز متى يجدر بي ان أختار هذا الموت؟ وهنا يجب أن ينطلق الشاعر من السؤال عن الموت، إلى فلسفة شاعرية الموت. التجربة تفتح عن شاعرية بشلار...

نرسييس



ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhrat.com

لا شيء أجمل مني

كي أقبله

...

سامعا

لا شيء أطول مني

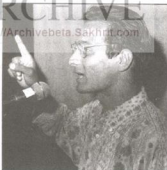
كي أعانقه

...

معجرا

لا شيء أعظم مني

كي أفسره



محجوب الطرابلسي

دار الإتحاف للنشر

سنابل أو "ألبوم" السيرة الذاتية

لمبروك صالح المناعي

بقلم : علي سعيد بوزميطة

"ما أجمل هذا العنوان فأنا ابن سنابل مولود في مزرعة (هنشير دجمة) بقعفور، أصيل جهة فلاحية عاصمتها مدينة الإتحاف سليانة شعارها سنابل..."

مبروك صالح المناعي (سنابل ص 5)

"سي مبروك"... "عم مبروك" "أخي مبروك"... كلها أسماء تعودنا سماعها عند مخاطبة هذا الصبي في سن الأربع وستين سنة (مولود سنة 1942) سي مبروك صالح المناعي الذي عرف بين زملائه المبدعين: كتابا وقصاصين وشعراء في نادي القصة واتحاد الكتاب التونسيين وأمرة تحرير مجلة "الإتحاف" وفي جلّ التظاهرات الأدبية في إقليم تونس وداخل الجمهورية. يعلّق بسمه بريئة على شفثيه وديعا في حديثه، لطيفا في علاقته بالآخرين عفويا في تصرفاته تلقائيا في الاقتراب منك، حميميا في معاشرتك مسكونا بحبة الناس، هو هكذا نقي السريرة عرفناه صديق الجميع وحبیب كل من تعرف إليهم وتعرفوا إليه، هو سي مبروك صالح المناعي الذي احتفى بصدور كتابه الثاني "سنابل: خواطر وأقصوصات" سنة 2003 بعدما سجل حضوره الأدبي في الساحة التونسية بياكورة انتاجه القصصي "دقائق" عن دار سحر للنشر سنة 1995.

و"سنابل" هي مجموعة خواطر وأقصوصات صدرت في 3000 نسخة سنة

2003 عن دار الإتحاف للنشر في 106 صفحات من القطع الصغير متضمنة "مصافحة" و "استهلال" و 31 نصا مؤرخا بين سنتي 1987 و 2000.

وكعادته مع الأصدقاء، أهداني سي مبروك نسخة موقعة من سنبلة الناضجة بحباتها الفواحة بعطر يضوع في هيفاء الشمال سليانة.

وانكببت على قراءة نصوص المجموعة التي وزعها صاحبها بين خواطر وأقصوصات وكنت كلما قررت التوقف عن القراءة ألح عليّ النص الموالي للإطلاع عليه وهكذا لم أرفع عيني عن الكتاب إلا بعد أن انتهيت منه، وليس ثمة سر في ذلك غير ميزة "السهل الممتنع" والصور الجميلة من الواقع والمحيط وكأني بسي مبروك يحمل آلة تصوير ينقل بها جمال الطبيعة.

"كنت بأرجوحة في حديقة تتعاقب فيها أغصان الأشجار..."

أرضية البستان كانت زراي من العشب توشحها أزهار من كلّ الأشكال والألوان فوق الأشجار كانت حلقات ترقسم في استعراضات رائعة تشكلها عصافير من كلّ الأنواع والأحجام

انتشاء ص 37

ويصور بها مواقف من الحياة اليومية:

"جلست وصاحبي إلى المائدة متوجهين إلى الأنيس، متأهين لتناول ما حضر من قوت لا يتعدى مستوى صندوقنا، نأكل فلا نواكب المشاهد ونتحدث فلا ننصت إلى الثرثرة... الأنيس يفرض وجوده ولا يسترعي انتباهنا إلا في حالات طوائفه..."

صندوقنا الصغير ص 26

ويصف كل ذلك بكل بساطة مستعملا لغة سلسلة وألفاظا عادية لكنها معبرة وصيغا تؤدي ما يريد صاحبها تبليغه:

"...سرحت في ذلك المظهر، وراحت تقرأ تلك الحبات والخطوط لما تشكله من رموز وألغاز فأمنت أن لوحة كهذه ليست في متناول العديد من فثاني الرسم:

صفحة من العرق تحترقها خطوط عمودية تشد الثرى، شرحت الرسم فبين لها أن هذا العرق هو كدها المتواصل يوميا من أجل فلذات كبدها وأن تلك الخطوط هي دموعها المسترسلة تحسرا على زوجها الرامل منذ سنين.."

حياة أخرى ص 10

بمجموعة "سنابل" تستوقفك، بل تشدك إليها بكل حميمة وتدعوك إلى تصفح "اليوم" يوثق لـ "أيام" ميروك صالح المناعي، ويؤرخ لسيرة ذاتية في أدق تفاصيلها:

"..يتعلم الطفل ثم يكبر فيصبح شابا، أول ما يتمنى زوجة تكون له بمثابة الأم الفقيدة كي تمسح عنه أدران الماضي، لكن تجري الحياة عكس الأمانى بعد ذلك يجد الشاب نفسه كهلا متزوجا وأبا يحترم الزوجة ويوقر الأبناء، يحافظ على أولاده ويحنو عليهم وصورة تلك الأبوة القاسية لا تفارق ذاكرته..."

إلى عبادة القلوب ص 42

إن القارئ الذي لا يعرف ميروك صالح المناعي يمكنه الاقتراب منه والتعرف إليه كما ينبغي من خلال "سنابل" فالرجل يقدم نفسه من خلال هذه الخواطر والأقصوصات وكأنه يقول : هو ذا ميروك صالح المناعي في حياته الخاصة وأدق تفاصيله، هو ذا صاحب "سنابل" في أشيائه الصغيرة بين أفراد عائلته، كيف ينتقل، كيف يتصرف، كيف يعمل، كيف كان وكيف

صار:

"...اختطف العود وطفقت تحرث به الحدود الفاصلة بين اللثة والأسنان، مقسما ألا تترك للجنود ولو بذرة، كفاها عشا بعظام فيك...المضمضة وكفى...الآن تفرض عليك بيت الخلاء الالتحاق بها قبل الموتة الصغرى للتخلص من الرواسب :حكمة بليغة يجب تطبيقها...افتح الباب...أغلق الباب...اجلس...انتظر...انتظر...بقية ربح في الكواليس، الابريق والخفية على اليمين، الاستنجاء واجب، التشيف ضروري، اخرج، افتح الباب، أغلق الباب..."

(صفر فاصل صفرين ص 20)

إنك أيها القارئ الكريم سوف لن تجد عناء أو معاناة في التعرف على الرجل فهو دائما مبروك صالح المناعي بطل أقصوصاته وخواتمه ومهما تخفى المؤلف وراء ضمائر مختلفة (المخاطب أنت في ثلاثة نصوص: "الموزع يودع" ص 82- "صدمة" ص 88- "مات الجمل" ص 97) أو (الغائب هو في نصين: "أنوار ص 53- "التذكار المهمل" ص 65) أو (وراء أسماء مستعارة فهو "عبد القادر" في أقصوصة "الشاحنة" ص 23 و"الصادق" في أقصوصة "اليوم الأسود" ص 100) أو ضمير المتكلم أنا في باقي أقصوصات وخواتم المجموعة.

مبروك صالح المناعي في مجموعة "سنابل" امتطى صهوة "السهل الممتع" زاده قلم وآلة تسجيل بالصورة والصوت والكلمة فجاءت خواتمه ملونة زاهية في جمال ربيع "الأحوات" و"قعفرور" و"سليانة" دقيقة أمينة أمانة صاحبها. صاحب "سنابل" قناص ماهر، يتحين الفرص المواتية والمواقف اللافتة والأحداث الخاصة، فيلتقطها ويعالجها بما أوتي من الصيغ والأساليب

والأدوات اللغوية، ويقدمها للقارئ لوحات جميلة يتفاعل معها كل من يطلع عليها كما لا يفوته اقتباس بعض المأثورات والأقوال والأمثال الشعبية من الحياة اليومية يستعملها في نصوصه ليثري بها خواطره وأقصوصاته

"إن الخير فيما اختاره الله

رب ضارة نافعة

في الإعادة إفادة..."

هو ابن الريف، ومن الريف تعلم البساطة في الحياة ومن أهل الريف اقتبس بعض الأمثال والحكم ومن القرآن الحكيم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، دعم بعض خواطره بآيات كريمة وأحاديث شريفة، كيف لا وهو الذي تعلم في الكتاتيب والمدرسة القرآنية وحفظ ثلاثة أرباع القرآن الكريم.

نص استهلال مجموعة "سنابل" الآية 261 من سورة البقرة.

"مِثْلَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةِ آبْتَسَ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِثْقَالٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ"

إن المناعي - من خلال خواطره وأقصوصاته - يعترف بمجمل كل من له فضل عليه من أصدقاء ومدن وأقارب ضمن خواطره اعترافا بهذا الجميل لعائلة استضافتهم أيام مرض ومعالجة والدته:

"...حبيبي الهيفاء، ما ينفك يجتذبي الحظن إليك لأستعيد لحظات الأنس مع حبيبي الأولى عزيزتي الراحلة التي اختطفها يد المنون... في ثاني زيارة دفعني الحنين إلى البحث عن تلك الدار استضافت والدتي المريضة..."

(سليانة حبيبي ص 58)

ومدنا استضافته أيام دراسته أو العمل والإقامة:

"جنتك ذات يوم لأتعلّم ففتحت لي أحضانك مرحبة وأسكتني بخير مسكن

حيث أقمت عندك ثلاث سنين الفتح عيني كل صباح نحو الشرق على أشعة الشمس الوهاجة ومن خلفي الوادي يواصل رحلته الخالدة ويردد أناشيده "الدائمة... شكرا لك على بالغ اللطافة وحسن الضيافة يا جارة الوادي"

الجزء ص 17

وتغنى بعيد المدن الأخرى : تونس العاصمة، زغوان، سليانة، ولم ينس ذكر أماكن زارها وقرى مر بها : الكريب، وادي مليز، غار الدماء، بن عروس، حمام الأنف، الزهراء، قعقور، الأخوات...

لا ينسى سي مبروك على امتداد "سنايله" تذكر وذكر أصدقائه حتى بقراءة منشوراتهم:

"...الفراش يغازلني، والمجموعة القصصية لصديقنا الوديع أنه بلا شك يغط في نوم عميق بمدينة الحلفاء بل ربما يغتم الظلمة والعزلة ليحترق قليلا على بنات الحلفاء إلا اقرأ له قليلا؟"

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>
صفر فاصل صفرين ص 20

نماذج من كتابة المناعي

"أنفاس تدخينك تنعشي، تغذي، رائحتك مرفا للروح / تتهين غير الدخان، آتية غير التأمل تسيحين غير الغيوم، أبحر غير الأمواج / يسجل الجو صوتك، بدون البحر صبحي"

(دخان ص 35)

"تمر الأيام مرور الساعات لمن تحلو له
وتزهو الحياة..."

تمر الحياة مرور النسيم، على من يحيا
حياة النعيم

تبتسم الأيام لكل إنسان يلقي في الدنيا ظروف
الحنان، تضحك الحياة لكل مخلوق له في نهجه
إنسان يذوق... لكن تمر الأيام مرور السنين
على من ويلات الأنين، تمر الحياة مرور النوائب
على من تتألى عليه المصائب... تنوح الأيام
على المرء المريض، وعلى كل من بدأ في الخضوض
تبكي الحياة على العائشين بلا سندهم
المساكين "

(رجاء ص 51)

وبعد

هي قراءة على عجل ردا على تحية سي ميروك الذي مكنتنا من هذا الألبوم
المتدفق بالأحاسيس الصادقة والمشاعر الفياضة والمشاهد الزاهية التي "عاشها"
سي ميروك وعرضها على القراء في شكل خواطر وأقصوصات لم يكن أبطالها
ولو تغيرت أسمائهم غير سي ميروك صالح المناعي ولم تكن أحداثها غير ما
عاشه المؤلف بين قعفور وسليانة ومجاز الباب والأنخوات وجبل برقو ووادي
مليز وبن عروس وزغوان وتونس العاصمة وبوسالم وغيرها من القرى
والمداشر، وما فصول خواطره وأقصوصاته إلا تلك المحطات والمراحل التي
عاشها ميروك المناعي في إطار عائلته ومجال نشاطه المهني والإبداعي، وقد أفلح
سي ميروك في تقديم هذا "الألبوم" أو "المذكرات" كجنس أدبي لم يحظ كثيرا
بالاهتمام سواء من الكتاب أو النقاد، وأجاد في الإخراج وانتقاء اللحظات
والأحداث الجديرة بالذكر والمعالجة بلغة جميلة وصيغ تعبيرية مستساغة وصور
فنية ترقى على درجة الإبداع.

تاريخ علم الوراثة في أجزاء

بقلم : ضياء بوكيلة

توماس هانت مورغان:

صاحب النظرية الصبغية للوراثة

- 2 -

1- مقدمة :

تعرضنا في الجزء السابق إلى نبذة من حياة يوهان غريغور مندل، مؤسس علم الوراثة وتجاربه التي أفضت إلى أول قوانين هذا العلم.

ولكن أوحى قوانين مندل بوجود "عوامل" حاملة للمعلومات الوراثية، فإنها ظلت صامتة عن الطبيعة الفيزيائية والكيميائية لهذه العوامل ومكان تواجدها داخل الخلية الحية (Cellule Vivante) <http://A>

ورغم ذلك، فقد فتحت قوانين مندل - لاسيما عندما أعيد اكتشافها في أوائل القرن العشرين - الباب على مصراعيه أمام التفكير في وراثة الخصال البيولوجية وعلاقته بالتنوع الطبيعي والتطور ومفهوم الأجناس الطبيعية وتحلى ذلك في جدل علمي حاد بين مدرستين علميتين في بداية القرن الماضي.

2- الجدل العلمي في بداية القرن العشرين حول نظرية "الطفرة"

في سنة 1900 أعاد أستاذ علم النبات بجامعة أمستردام الهولندي "هوقو دي فريس" اكتشاف قوانين مندل للوراثة وأطلق اسم "البانجينات" (Pangenes) على الجزيئات (Particules) التي قد تكون مسؤولة عن

توريث الخصال.

لقد جرّه ذلك إلى التفكير بعمق في تراث داروين المتعلق بالتطور البيولوجي: لقد رجّح "هوقو دي فريس" أن يكون ظهور أجناس طبيعية جديدة من النبات والحيوان ناتجا عن تغيّر مفاجئ في العوامل الوراثية التي أطلق عليها لقب البانجينات، وهو ما يخالف أفكار داروين التي مفادها أن ظهور الأجناس الجديدة يتم بصفة تدريجية عن طريق التكيف (l'adaptation). يقول داروين في هذا المجال قوله الشهيرة "إن الطبيعة لا تقوم بقفزة: Natura non facit saltum".

أمّا هوقو دي فريس فقد كان يعتقد على العكس من ذلك أن الطبيعة تقوم بقفزات مفاجئة تتولد منها أجناس مغايرة، وقد أطلق دي فريس على هذه القفزات اسم "طفرات" (Mutations).

أدى هذا التضارب العميق إلى جدل علمي عميق بين مدرستين في بداية القرن العشرين تضم كل منهما زمرة من العلماء، تسمى المدرسة الأولى بمدرسة "التطوريين الطفرين" (Les évolutionnistes mtationnistes) وهم أنصار هوقو دي فريس ونظرية الطفرة، فيما تدعى الثانية بمدرسة "التطوريين الطبيعيين" (Les évolutionnistes naturalistes) وهم أنصار داروين ونظرية التطور التدريجي.

3- توماس هانت مورغان : نشأته، تعليمه، واهتماماته

ولد توماس هانت مورغان (Thomas Hunt Morgan) في 25 سبتمبر سنة 1866، في ليكسنغتون (Lexington) بالولايات المتحدة الأمريكية، وتحصل على شهادة البكالوريا من جامعة ولاية "كنتوكي" في سنة 1886، وليحرز بعد ذلك بستانين شهادة الماجستير من نفس الجامعة (1988)،

ثم شهادة الدكتوراه من جامعة جون هوبكينز (John Hopkins) في سنة 1890.

تمحورت أولى الاهتمامات العلمية لتوماس مورغان حول بيولوجيا الحيوان لا سيما الحيوانات البحرية كقنفذ البحر (l'oursin) وبعض المفصليات (Arthropodes).

انتقل توماس مورغان إثر ذلك إلى جامعة كولومبيا في سنة 1904، أين بدأ مرحلة خصبة من حياته العلمية، لقد كان مورغان في ذلك الحين شديد الاهتمام بنظرية "هوقو دي فريس" حول التطفر (La mutation).

انشغل مورغان بالبحث عن طفرات وراثية عند الحيوانات، أملا في اختبار قوانين مندل ومدى تطبيقها على الحيوان.

بدأ مورغان بدراسة ذبابة الخل دروسوفيل ميلانو غستر: (La mouche du vinaigre Drosophila melangaster) متخذاً من هذا الحيوان الصغير نموذجاً لتجاربه.

4- ذبابة الخل: دروسوفيل ميلانو غستر، كائن صغير لاكتشافات كبيرة دروسوفيل ميلانو غستر هم الاسم اللاتيني لذبابة صغيرة تسمى أيضا ذبابة الخل وهي حشرة صغيرة الحجم، تتواجد عادة حول الفواكه الناضجة. وتعتبر ذبابة الخل حيوانا مخبريا هاما ذلك أنها سهلة التربية حيث يكفي وضعها داخل أنبوب يحتوي بعض دقيق الذرة وحميرة الجعة (levure de biere+Farine de mais). يمتاز هذا الحيوان الصغير بخصوبته الفائقة إذ يتكاثر في غضون 15 يوما لينشئ جيلا من الذباب يصل عدده إلى 300 فرد.

يسهل التفريق بين الذكر والأنثى باستعمال العين المجردة او باستعمال

المكبر (Loupe)، ذلك أن الذكر يمتاز على الأنثى بحجمه الصغير ووجود نقطة سوداء في أسفل البطن. تحتوي خلايا (Cellules) دروسوفيلاميلانو غستر على 4 أزواج من الصبغيات (Chromosomes) : 3 أزواج من الصبغيات العادية (Autosomes) وزوج واحد من الصبغيات الجنسية (Chromosomes Sexuels).

5- تجارب مورغان الشهيرة على ذبابة الخل وإنشاء النظرية الصبغية للوراثة:

قام مورغان بتربية أجيال عديدة من ذبابة الخل من الفصيلة العادية (Souche sauvage) ذات الجسم الرمادي والعينين الحمراوين. فلاحظ ظهورا فحشا لذكر ذي عينين بيضاوين بدل العينين الحمراوين. أطلق مورغان على هذه الطفرة اسم "الطفرة البيضاء" (Mutation White)، ولاحظ وجودها فقط لدى الأفراد الذكور دون الإناث، فاستنتج من ذلك أن لها ارتباطا بالصبغيات الجنسية للحشرة، وافترض مورغان أن العامل الوراثي المؤدي إلى هذه الطفرة الوراثية متواجد فوق الصبغي الجنسي (Chromosome sexuel). وباستنتاجه هذا، يكون مورغان أول من توصل إلى تحديد مكان وجود العوامل الوراثية المنديلية (Les facteurs mendeliens)، وكذلك يكون أول من اكتشف الوراثة المرتبطة بالجنس (l'hérédité liée au sexe).

في سنة 1910 التحق ألفريد ستور تفانت (Alfred Sturtevant) بأستاذه توماس مورغان ليتابع العمل سويا على وراثة الخصال لدى ذبابة الخل. واصل مورغان بمعية ستور تفانت اكتشاف عديد الطفرات الوراثية الأخرى لدى دروسوفيلاميلانو، وتوصلا إلى إنشاء أولى الخرائط الجينية (cartes

(génétiques) وهي خرائط تحدد مكان تواجد مختلف جينات دروسوفيللا، فوق الصبغيات الأربعة.

وفي وقت لاحق، التحق بمورغان، تلامذة آخرون أصبح لجميعهم شأن كبير فيما بعد، وتوصل بمساعدة فريقه العلمي إلى تأسيس أول نظرية مفادها أن الصبغيات (Les chromosomes) هي المحمل المادي للجينات (support physique des gènes) وأن الجينات (Les gènes) هي العوامل الوراثية (facteurs héréditaires) التي يؤدي تغيرها إلى ظهور الطفرات (Mutations).

جمع مورغان حصيلة أبحاثه في كتابه المرجعي الشهير "آلية الوراثة المندلية" (Mécanismes de l'hérédité Mendélienne)، وهو من تأليفه برفقة معاونيه: ستورتنانت (Sturterant)، مولر (Muller) وبريدجز (Bridges).

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

6/ خاتمة

تعتبر أعمال مورغان ثورة علمية حقيقية في مجال الوراثة إذ هي امتداد لأبحاث مندل. وبفضل أبحاثه الفذة، نال مورغان جائزة نوبل للفيزيولوجيا والطب سنة 1933. توفي توماس مورغان في سنة 1945 ولا تزال تجاربه المهمة تدرّس إلى اليوم لطلبة البيولوجيا في جامعات العالم وفي جامعاتنا التونسية.

وفي الجزء القادم، ونواصل إتحافكم بفصل آخر من فصول تاريخ علم الوراثة نستعرض فيه حياة وأبحاث أحد تلامذة مورغان، وأحد المحرزين بدوره على جائزة نوبل، أعظم الجوائز العلمية.

المصادر والمراجع:

- *[http://nobelprize. Org/medicine/laueates/1933/ morgan-bio.html](http://nobelprize.Org/medicine/laueates/1933/ morgan-bio.html)
- *Morgan, TH (1911) The origin of nine wing mutations in drosophila. Science 33, 496.
- *Morgan T.H. (1910) Sex limited inheritance in Drosophila. Science 32,120.
- *Morgan TH, Sturtevant AH, Muller HJ &Bridges C. (1915) The mechanism of Mendelian heredity. New-york,USA.

قبل التعرف على العمارة الإسلامية بقلبية يجدر أن نعود إلى أربعة قرون خلت، ذلك أن الحركة الصوفية في تونس بالخصوص أشعت خلال الفترة الحفصية وكان ملقحها ما ورد من المغرب عن طريق أقطاب خاصة بها، ولما تكاثرت الفكرة الصوفية وصار لها مريدون تقريبا في كل مدينة وقرية وبادية تونسية، ظهرت فكرة بناء المقامات ببعض الأماكن بعد أن توفي بعض أعلام الصوفية والأتباع كانت الزوايا نقطة الالتقاء.

إن الوقوف على دلالة العمارة بقلبية يقودنا إلى التعرف أولا على المدن الإسلامية بصفة خاصة ذلك أن دراسة المدن الإسلامية في العصر الحديث مرتبطة بحركة الاستشراق وتطور اتجاهاتها.

حببيتي سيجارتي

شعر : مختار المومني

عشقته حسناء تكوي	متحوفة كأنها الشمس
وكان حديثي إليها	دوما إشارات وهمس
حببيتي ليست من الجن	ولا من بنات الأتس
حبنا لم يكن عناق	وضم في فراش لجنس
مهرها خرب الجيب	لم يبق فيه مريحة فلس
عشقته منذ صباي	في الجيب خباياها خوف العسس
أبها همتي وحزني	عند النهار وعند الغلس
لي في غرامي فنون	في عشقي لها دوما شرس
خربت جبي وعقلي	حتى ضاق عندي النفس
لم أنل في حبها	هناء ولا طعما لآتس
منذ عاشرتها تراني	أسير من نحس لنحس
أسير مرودا مرودا	نحو ظلام لا يشع مرس
حلفت أطلقها اليوم	طلقة أنعم فيها بخمس

شاعر في جحيم

شعر: محبوب الطرابلسي

هي آخر صفحة للشاعر الملعون

هي آخر الكلمات في هذا الزمن

تخطها أنامل الشوك الجميل

هي آخر الوصايا في بلاد الميتين

لا تترك مر جفة الموت مرة

ومرجفة الأحياء مرجعات

ARCHIVE
<http://Archivebeta.sakhr.com>

وداعاً للصباح المحمر للأسماء

للغات، للسنابل للأبرياء

سأمر على كل الدبابر

أقبل جدمائها جدامرا جداما

وأنحني لتلك الأبرض وأقبل التراب

هي لعنة ما بعدها لعنة!

في بلاد الشعر والمقاهي والنيبذ

لا بل سأطهر هذه المدينة

من دنس لا نرمها من ستين

كثير أنا بالقصائد

شعر : محمد العياشي طاع الله

حين اقترفنا الكتابة

كنا قليلا

نوزع أنغامنا في النجوم

ونغمس أشجاننا في الغيوم

ونغفو على وصلها

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

نعيم سلاقتها

والأغاني العذاب

وفيما يرى النائم قد رأينا الحمام

وفي رأسه سكرة للهديل

والندی آخذ في الهطول

والنعيم يهذي وتشرخه

نوءات الصخور

والشعراء تكسر موجاتهم نبوءات

فيستصرخون الخرافة والفلسفات

حين اقترفنا الكتابة كنا صغارا

ولما تغلغل في الأفق جبل القصيد

كبرنا

وبالشعر صرنا كثيرا

وأنبع في دربنا الحق والأمنيات...

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

سرقنا القمر

ونمنا على ظمأ في الدروب

مضينا إلى الشمس الهاربة

وتنهأ بأحلامنا الآفله

طلعنا على الشعراء

غزاة على صهوات التحليل

وصمت الأصيل

مرحلتنا طويلا...

ولم يشف فينا الغليل

وفي آخر الليل لنا

إلى نهرنا الأول

واغتسلنا بسيل الضياء

حتى أضأنا...

حين رأيت مفاتيحها همت كالعاشقين

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

وشربت كؤوسا من الورد والياسمين

ولما سجا الليل أسرى بنا الوجد من ضفتي

مجردة

من سهله المستطاب إلى موجة في المحيط

سأحفر في البحر أغنية ثم أرحل في موجتيها

أراها قليلا

وأنا في جحيم لظاها كثير

أموي الهوى

ولي قمر في بلاط نيزد

أنا أبو نيزد ...

هلالي هذا الزمان العتيد

غلبني الغواية



والقيروان غنائني

أنا قيس والعامرية كآسي ودائي

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

وحجة هذا الغباء

أنا قرطبي الرؤى الوعود

"أكرول" أثينا أنا

ويروت أغنية في مسائي

دمائي المسيح

وقرطاج أيقونة في سمائي

لي الشام والقاهرة

وبغداد مرادي

كثير أنا بالقصائد

والحبيب قبائل

نملأ كل الحداثق بالياسمين

ويبيع تفاحنا

تبتنا

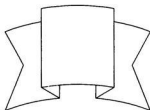


ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

نجنس أحلامنا

ونرتل أغنية العاشقين



الظلام .. أقواس محلبة

جمال خضير الجنابي

العراق - بابل

ألملم بقايا امرأة ..

تتعرى بأفواه السكارى ..

ألملم ..

تناسل الوقت .. والحجارة

ألملم
ARCHIVE

جثتي المتعفن برائحة العذامرى
<http://Ar>

لأوقف شريرة أصابعي .. التي تعانق ظلمة ..

خدود الياسمين ..

لأصهر ظلمتي التي تمتد آخر الزمن ..

لأنج صوب حافة الأمكنة الضيقة ..

كشجرة تتعري ..

موقفا ..

أنفاس الحجر..

بتصدع لآهات القدر..

القدر/ورقة تعاقبها الريح..

لتصطدم مرذاذ المطر..

*** **

حاملان عش كلما تي.. جثة تصهرها المسافات..

نافرا.. ورائي اصفرار المساء..

المساء/ثرثرة السلام المكسره..

http://Archiv.chata.Galibrit.com
*** **

بكاء متخسر..

قاسما ذاكري.. بين أسفل يتحرر..

لأعلى متحجر..

*** **

هائرا..

بأتجاه أجنحة الظلام..

الظلام/أقواس محبته ..

تسكع فوق الأثر منه التي تشرب دمي ..

دمي/بقايا أرض صفة تتعكر على خطايا

أحلام أبي ..

التي تغسل واجهة الأيام ...

بشرثرة الأمسيات ..

هكذا ..

أنسف الشوارع المكتسه

برائحة أنفاسي ..

وأضع نعشي بين شفة مطرقه ..

وسدانه ...

مهشما "كبرياء الحجر ..

فوق قهقهة الطرقات ..

امرأة من نحاس

شعر : توفيق العرقوبي

أيتها الشجرة البالغة

يا وجها ينضج كالنعب

كبرت من حولك الأيام

والورق الميت والمخزن

والليل . . . عاد حطاما

يففو على بيت من الشعر

والشمس، <http://Archivebeta.com>

في المفتى - تنوح -

تذرع لله في صمت

تصب الماء على الماء

وتشكو من الظلم إلى الظلم

تلمس . . . صوتا قد مر حل

تبحث بالصدفة عن مر جل

عن حضن لا يعرف النوم

عن جسد في قفص الموت

عن أفق لا يحتوي سحبا

عن قمر لم يعد قمرا

عن وطن أعدم نفسه

فسقط فرصة للثلج

... يتخيل بحرا للسفر

... ويجالا خصبا للمطر

ARCHIVE

<http://Archivabeta.Sakhril.com>

ويتجمع في كل شبر

ويضي مفعما بالحلم

.....

في ذلك الصحو

دخلت مملكتي

دخلت كائنا وحشيا

دخلت نروجين من الطير

وبلادا مطوقة بالحنجل

مدناً ملطخة بالضحك

مسافات تقف معقدة

وطناً يرتمي في الأفق

ونبعه سبلاً مجنحة

.....

لست مجنوناً ولكني

سأكون من هذا الوطن

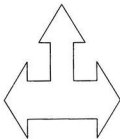
وجهاً ثرياً بالفضب

ARCHIVE

<http://Archivebe.ma.Sakhril.com>

وهو يرى أكثر من غيره

.....



أجراس

شعر : مبروك السيارى

ترنّ مضخخة بالقصيدة

أنصت

ترى جرس الريح في مقلتيها

يشيع صدى الكلمات

ترى همهمات

كأصوات هام تلاشت

على العتبات <http://Archivebeta.Saki>

كأوهام طفل

تسمر بين الحصان وبين صهيله

يرقق سرى البداية خوفا

من الصوت آت

من الموت بين أغاني الحياة

فأنصت

يقولون ...

قل هي أجراس عصفورة

مكثت فيك عمرا

ومراحت ...

تعود مع الراحلين !

تلوح لعابر هذا السبيل سرايا

تلوح لعابر هذا الشهيد



ARCHIVE

قنين الحصان وبين الصهيل

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قصيدتك الضائعة

وبعض حياة

نرث مضمخة بالقصيدة

أنصت

عكاظية البوح تأتي

هدى لرائدة سوف تأتي

... يبيعون أجراسه المشتقة

فسلم عليهم

ودعني أفاوض طيفي الجديد

وسلم عليهم

ودعني أفاوض ظلي البعيد

ولا تخبر الواقفين ضحي عند قبري

بما لم أقله !

أخاف عليك الرجوع بخنن في ساعدك

وثالثة للأنا في

تذكرها آمة

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وتنشر أشلاءها في دروب الحفاة

فانصت

ذئابك تعوي وإن لم تكن جائعة

حييتك الضائعة

يكورها جرس الأرض إذ وثدت

حملتك وقد وثدت

حملتك على صفحات

ترن مضمخة بالقصيدة

أنصت

لها جرس الخيمة أنصبت

عذبة كالمكان الذي يعتربك

على موجة كالمكان الذي لم تصله

على وتر كالمكان الذي تعقله

على صرخات

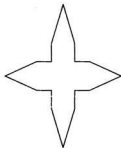
تؤمك أشواقها

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

إلى الخفقات

ألم تر كيف تناهت إلى الخفقات



الخيـط الشـفـيف

شعر : سمير قيمش

جنت أنا

جنت من الخيـط البعيد

صـكي أعبر الخطوة الأخيرة

بين الحراسة والجليد ...

جنت من الهذيان جنت من الجحون

من ضفة التوهان من ماضي القرون

جنت من الضيق أفتش عن فسيح

من الرّاح

من التّوايح

من الفصح <http://Archivebeta.Sakhr.it>

من لمعة البيض التواهل من دمي

جنت أنا ..

جنت من الجرح التليد

قلقا على قلق القنى

صـكي نـبر الضفة الأخيرة للجليد ...

من مات مات

ثم تحول باسمين

لكن قاتله يموت

كل يوم من جديد

الشاعر والقصرُ

الإهداء إلى القدس وعلي إلى النبي وشعراء التبل

شعر : هشام حثيرة

الشاعرُ

يُخْرِجُهُ أَلَمُ الْقُدُسِ

وَيُخْرِجُهُ "عَلِيٌّ"

فِي فَلَمٍ قَصِيرٍ،

ARCHIVE

وَعُيُومٌ مَجْلِسُ

<http://Archivebern.Sakhrir.com>

فِي مَرَعِيَّةِ الظَّلَامِ تَحْتَسِي

بَلُورِ الْهَلَاكِ اللَّذِيذِ،

فِي أَبَارِيقِ الْبَرِيقِ

يُؤَلِّهُ طَرْدَ التَّوَامِرِ مِنْ

مِنْ قَرِيَةِ الْمَوْجِ

إِلَى مَرْفَعِ الْقَتْلِ،

يَعْنَى بِسَطِ الْأَمِيرِ لَعْلَةً

لِينَعَمَ الْمَسِيرُ،

يَلْتَحِقُ بِالْعُطْرِ شَاءَ

وَسَوْسَنَ يَنْزِعُ مُنْظَرًا مِنْ الْعَدُوِّ

الشَّاعِرُ

يُخَضِّرُ بِالشَّغْرِ

يُسْقَى مَخْتَوِمَ الْحَوَادِثِ

ARCHIVE

<http://Archive.org/Sakait.com>

وَيُعْطِدُ الْعَصْرَ مِنْهُ

مُشْرِدُ الشَّغْرِ يَنْدَاحُ فِي الْأَنْزِمَاتِ

لِيَضْبَحَ

لِيَطْرَأَ فِي الْجِرْحِ وَالسَّخْرِ

يَجُوبُ النُّجُومَ

بَحْنًا

عَنْ نَوَاقِبِهِ

بَعَوَاتِقِ اللَّيْلِ يَجُولُ
يَغْبِرُ الْفَرَاعُ
يَذُرُكَ دُمُوعُ الْأَرْضِ
فَيَسْرِ مِي بِالْتِيهِ مَعِينَهُ . . .
وَيَعْشُوشِبُ الشَّعْرِ فِي
مَنْفَى مُطْمَئِنَّةٍ



مَاءَ
ARCHIVE

يَكْسُو الْفَلَاةَ مِنْ مَعْنَاهُ التَّيَاتُ

هُوَ

حَدَادَةُ الْبُرُوجِ
وَمِنْ خُرْفٍ نَادِرٍ
عَلَى جَدْرِ الْعُرُوشِ
يَلْبِسُ الْبَحْرُ مِنْ مَاءِ يَدَيْهِ
وَيَضَعُ مِنْ عَطْرِ الْعَصَائِرِ شَعْرَهُ

يَهْدِي الْأَجَاخُ
وَيَرْكَبُ الْعَلَقَةَ شَهْدَةً
فَيَصْرَعُ سُكْرَهُ
بَيْنَ يَدَيْهِ عَرَقَ الْوَرَقِ
وَكَدَحَ الْقَصِيدُ فِي كُلِّ مَوْقِعٍ
فَأَوْرَقَ نَزْوَرَقَ فِي الْعَتَانِ



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

يُسْفِرُ الْمُبْصِرُ رَوْضَهُ

لِقَلْبِهِ عَنَتُ

نَوَاحِي الْوُجُودِ

وَحُزْنُ يَدْمَدِمٍ

الشَّاعِرُ

يَصْفَرُ مِنَ الشَّعْرِ

بَعْدَ كُلِّ جُرْعَةٍ

مِنْ خَالِصِ اللَّيْلِ
 قَوِّمًا يَكُونُ بِحُزْنِهِ
 يَلْعَقُ الْحَوَاقِرَ فَيَذُبُّ
 يَدُسُّ لَهُ فِي شَعْرِهِ
 نَزْعًا مُرَصَّعًا
 مِنْ عَجَائِبِ الدُّمُوعِ الشَّاعِرِ
 وَلَدَانُ الْأَسَى

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وَهَبُوبٌ فِي الصَّدَى وَالصَّدَاغِ

هُوْمَاءُ

هُونَاءُ

وَشَجَرُ

يُحَدِّقُ بِشَعْرِهِ النَّصْرُ

تَعَانِيهِ الْمَعَانِي

وَتَسْأَلُ عَنْهُ الرُّوْنَا وَالصُّوْمُ

فِي أَنَّهُ إِنصَاتَهُ جَسَدَ السُّكُونِ

يَعْلُو لِسْدَ مَرَّةٍ هُمُومِهِ

مَرَحِيقِ النُّجُومِ

فِي عَضَلَاتِ النَّوَى يَهْوِي

مَهْلٍ

وَسَعَةٍ

وَسَهْلٍ



يَخْرُجُ مِنْ شِعْرِهِ أَشْلَاءُ

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الشَّاعِرِ

مِرْوَدٌ لِلضِّيَاءِ

خَذَ لِلذَّمُوعِ

وَمِرْمُوشٍ لَشَمُوعِ

قَدَرِ يَغْلِي

بِذَهَبِ

هُوَ مَا بَقِيَ فِي الْمَعِينِ مِنْ شَرَابِ

ما تبقى

في اليباب

شاهرا وجوده

هو هامة من شمس

قدرة على الظهور

الشاعر سحر

تسريحه اغتراب

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

دولة هموم

نزعامة كمد

يعلو الشاعر أنزرق

أبيض المدى

كراعي القمر لا يستريح

يرقب

يرعى القطيع

ثجاجة ينزل

من معصرات المعاني

فينبت أفاف الكلام العميق

يحطب الرّيح بحقله

ينزّج الشعر

لحور القلم

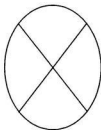
ينحدر منه السبيل

ARCHIVE فيحيي

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وينخرج

من الأفراح حزين



أقبية الريح

قصة: صلاح بن علي

كان الزمن لحظة انبثاق والمكان مقام، على حياة أقبية، مدافن ملوك، تصارع الزمن رفاقها. نبع، حرق، أبخرة وحبال تطفح صد أعرق، والجمع على رؤوسهم جمر... فناء قبو الريح.

تأبط الشيخ نزوة القوم وطفق يصدق بفقہ القول قال: "... وشاح حداد كسا المدينة، نادي مناد أن ابن السلطان فقد ذاكرته ولمن يردها جزء وفير، استنفر الحكماء والبرّاؤون وأصحاب الخوارق، وصفت أدوية عجيبة فلم تزده إلا نكوسا. حتى إذا استيأس السلطان وليسه اهتم وظن أهل القصر أن ولي العهد غدا قاصرا لا يعقد له أمر جاءت بنتان من أقاصي البدو قالتا: أرسلنا ابانا نرى الأمير على أن يتزوج إحدانا عشية شغائه ولنشهد على أمرنا عصابة إلى الثقة من عموم القوم.

تولى السلطان وحشد نظاره يستفتهم، قال فريق منهم:

- شروط الرعية على أولى الأمر مؤذن بزوال السلطان وخراب الأوطان، أمر لم يسبقنا إليه أحد.

وقال أولى الأيدي في القصر:

- للملوك في عهودهم شؤون، فليكن لهما ما تريان ولنا فيهما بعد ذلك مناقب.

انفظوا وفي النفس شيء من ريب وغيض كثير.

دخلنا المدينة والمرجفون في القصر على غل دفين الكبري أوتيت مهارة يد

وسلاسة قول وعلم كثير والصغرى حظها من الجمال وفير، كانتا على قدر من نبل وحياء كبير قالت الكبرى: يا أيها السلطان اجعل لنا أمدا نستشفى الأمير أحد عشر قمرا فإن أتممت الحول فجنة له.

قال : وإن فشلتما ؟

قالت : لك فيما ترى

قال : لأحرقن عشيرتكما ولأصلبنكما وأبوكما على أبواب المدينة، ولنجعلكم عضة للخلق.

قلت: تا الله تفتأ تهددنا، مالنا في سلطانك مأرب، إنما أشفقنا بأس الأمير، وما شرطنا إلا تنمة لعافيته ولكنكم لا تبصرون وانطلقتا حتى إذا أتتا الأمير وجدته على مرآة عاكف، في سنة يناجي ملامحه...

دبت من القصر في المدينة أراجيف، فكان هرجا وإفكا وزلزلة قال أحد المرجفين: إن سلطانكم أضعفه الولد وأنا لنراه في عرش مدينتكم زاهدا... وصرخ آخر: اقتلوا البنتين أو شردوهما في أعمازال الأرض يثبت لكم سلطانكم وتدرؤون عنكم مكرا الطامعين.

قال أحد العصبة الشهود: أنسيتم عهدكم إنكم قوم تحنون

قالوا: لأن لم تترك سيرتك هذه لنقطرن نمرق ونخوننك ونجعلنك من الغابرين. قالت امرأة من أطراف المدينة لا تقتلوا البنتين ففظلوا من بعد قتلها نادمين بل جرموها واسجنوها يستشفين الأمير ويقضين في السجن إن كنتم لأمركم تفنون ولسلطانكم تنتصرون فجمعوا أمرهم وكادوا لها والبنتان عن الكيد غافلتان...

فلما كان ليل المكر، صمت نكد سربل المدينة، غيم كث أطفأ سماءها، إفك قدر يربو في أحشائها، نبض المدينة يتباطئ يتعثر... يتوقف. ضجّت أنفاس في

صدورها فانكمت "شجنت النجوى في القلوب ضرعا فاصاعدت لا حول ولا طول. هنالك إنبعثت خيالات برقية يومض رغاؤها في شواض مستطر صراخ شبحي مزق ظلمة ليل منكدر...نبض المدينة انفجر بركانا مستعرا. زئرت السماء...زبحرت الريح وثار كثاين الصحراء رابية واعتمل الرمل موجا كالجبال وحسبا جثاما..."

خفت الصوت حشرج...بهج...تقطع...توقف عن القص...ححضت عينا الشيخ وانزفرت روحه...غصّ الجمع بصراخ نعي بمترع. غار في بؤر الصمت وفزع منكبت...توقف قلب شيخ القص عن النبض... انتابه شيء يوشك أن يكون حسرة على القص أكثر منه شحنا على موت الشيخ.

احتدّ حداد القوم حتى كأنّهما غير موت الشيخ أنكسهم ونكّد حبورهم ففرق الربع في وحش ضيق ويسّ ليليه.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ذات رتابة والجمع يجتز متاعب الجوع وألق الشجن غمام المهجير على عربة ذات جرس طروب وألوان زاهية تشد الناظرين. عليها رجال على هيئة نساء غانيات ونساء يافعات بيض وشقر لابسات غير كاسيات، على وجوههن زينة مشعة إذا رأيتهن أوقعن في القلب ولها وفي الذهن عجا... تدافع الصبية حولها في لغط وهرج، ثم الشبان في تمعن لذاذ وتسرب الكهول في عرّ ونزق.

فتاة من الربع خلعت وإزينت ورقصت على حافة بئر فسقطت. مزارع حجر بيته، باع بستانه ومتاعه ينادم غنائية من العربة...شبان انقطع ذكرهم...فتيات ضغن بالملاءات والخمر فاتخذن سبيل الزينة المشعة

والخلع... غريب جاء بعربات وانتدب غلمانها وغوانيتها من الربع... صرخ رجل يسراه على ردف غانية وبمناه على قدح كمت. والقوم من حوله ثمل بعزة هذه النعم ورفعة لذتها ما رأى الربع نورا إلا مقدم العربة تعجب من أمر القوم بل من نفسه كيف لم تحركه هذه القيان والمباهج، فرأيته يتساءل عن مصدر العربة وغوانيتها و عن هول عواقب عرضهم وقصة الشيخ تركد في ذهنه كلائم قلتم حتى إستخف به قومه فاعتزلوه. قال له أحدهم وهو يخاذله: "مالنا لا نراك في زينة الجمع أبك إذا من نفسك أم استعبدتك أساطير الشيخ وأصفائه"

قال: ما بي إرب في ما تأتون إنما أسفي على الربع منكم قالوا الآن وقد أخذ الربع سيرته الوثق- فبعدا لكل ناكس ردي عتيد. قال وزحم الأسى يرتج بين ضلوعه: العربة أعمت أبصاركم وألبست الربع وهنا ورديلة أفلا تبصرون؟ أليس فيكم عقل ورأي رشيد؟ قالوا: اقتلوه أو أخرجه من ربكم إنه جهول وانتهر. فأصبح في الربع خائفا يتوجس بطش القوم ولا يأنس غير قبو الريح وقبر شيخ القصص... ضل يكابد أذى الزمن والقوم وحيدا، حتى ضاق به الربع واحتق بما رحبت به صدور القوم.

قال ينثر بثه وحزنه: الآن وقد حُصِّصَ الباطل واستزهِق الحق أضحي مقامي بالربيع كآسير بين جلاميد عشقي للربيع نقاة حزني والربيع مني وثيد.

يا أنت هلا سلكتني رشدا

يا أنت أليس في الأرض متسعا

أليس في الزمن تدافع وتداول ونشأ جديد؟

كان نحروجه عصرا ونزق القوم حول العربات متلائم، ركب القطار وغابَ عن من حوله يسكنه رأى المنام كأن جنة ذات زرع وكلا وأهارا جارية وضل وفيه وكائنات على حياة يبشر لا تكاد أطرافها تلامس الأرض حتى تثير غبارا ورملا كثيرا ويسمع للمعشها دويّ وهدير وتثير ريحا من جانب ثغر للجبل كبير فاغتربت عن الأرض ولازمت عروش النخل وحبالا وأحبية خلال أعجزة النخل ومسالك معلقة عليها تسير.

دخل الجنة وهو ضامئ يستجدي السبيل، فثارت الكائنات واضطربت رؤيته يدك الأرض فلا يثير غبارا ولا يسمع له ركزا...

فجأة سكنت الكائنات عن الحركة والصّخب بإشارة من كبير لهم أطل من مخبي لا يكاد يبين ثم خطب بلفظ مبهم ما أدرك على أن الوافد ذا غيب وطول وسحر مبين فأجثموا عند أقدامه عله ينقضكم من هذا الضنك الكبير... فاندفعت الكائنات حتى إذا لامست أجسادها الحصب، هبت ريح صرصر عاتية من جانب ثغر الجبل فاقتلعت النخل والكأ وأثارت رمالا على حياة أمواج هادرة تزحف فلا تبقى غير القاع الصّفصف... وكانت على طريق الجنة مساكن كأنها الربع أو مدن قصّ الشيخ، غمرتها الرياح وأمواج الرمل... وكان شيخا يركب فلك على أسمنة موج الرمل بصرخ في الفوم أن اركبوا لا عاصم اليوم من دفع الرمل غير لوح الفلك.

وكان سبع نجعات بيض تزحف أجنحتها يغالبن ذرا أسمنة موج الرمل وكان أعناقها تحمل رؤوس بشر من بينها فتاتي قصّ الشيخ وعدد من العصبة أولى الثقة الشهود... إشتدّ إعصار الرمل فابتلع الجنان والمدن والربع وحال الرمل دون الأرض والبحج... حتى إذا داهمه الدفق إستيقظ مذعورا طفع عرقه دافق، ضخ أنفاسه عاجلا والجهد منه أخذ فإذا بلفظ وعراك وتدافع

وأزيز صفائح عربة القطار تآز المسامع أزا وبذاعة المهرج كأنها القمامة تختمر
وصراخ حريمي كأنه الصور ينفخ فيه فلم يتبين هل همّ بها أم بمناعها... وإذا
برجل كأنه الموت يشب، رغاؤه زيد طمّ، لحظة عواء ذئب شبق، قبضته
الوجع يعتصر، تكلم فكأنما ضيع يجار ثم أردف غنائمه وقفز من القطار. قال
المراقب : لم يسبق أن تعرض القطار لهكذا قاطع طريق.

لم يسمعه أحد بل لم ينتبه أحد من رعبه. فإذا بالفتاة الكسيرة، المغتصب
حياؤها أو متاعها تنتصب بقدر يافع رشيق وشعر فحمي طليق وفواكه جسد
برقيق اللباس تضيق قالت صعاليك بني هلال يبعثون من جديد. ثم سرت
أردافها في حمار استرقى وقالت هل لكم في غناء ورقص ونبذ فغنت
ورقصت وطافت بنبذ من عندها فلم يرى ألين من خصرها ولا أرحم من
صوتها ولا أسكر من نبذها ولا أشهى من جسدها والقطار يتوغل في ليل
الجنوب فلم يدر أحد هل نزل في قصده أم أخطأه ولم تزل كذلك حتى
خلت العربة إلا منها وشيخا غله يصطحب كفته وفنى الربع وكان أول
عهده بالطرب والجسد والنبذ... اقتربت منه في تنن... إلتهب... لامست
شفتها قدحه.. رعد لذي يجتاحه... إجتزعت، فرجت أهداها، غمره دفق
الضياء... كاد لهدها يلامس ذقنه... قالت

- هل لك في وليمة. تراجع. قالت عندي مدام وفواكه وغرام. قال
ورعشة في القلب ترجّه: هل حورية من أثر السامري تنفث غواها أم
خيالات من أضغاث الرؤى

قالت : جس فغض النهود لا يلين ملمسها لنائم. هم بالنهد فكأنما وهن
إلتهم بنانه قال: قد يذهب لذّة التوقع.. تراجع وت قالت ما مقصدك قال:
أحب القطار... ابتسمت فكأنها خزائن الدنيا فتحت، قالت: بك إذا من

نفسك. قال والنفس تبث أشجانها: ليس لي في الدهر نصيب لا أكاد أصيب
 غرضا حتى يطير ولا أبرأ من نائبة إلا وتنزل بي أخرى فلا زلت كذلك
 حتى عافت نفسي الدنيا فكرهت الديار وركبت القطار. قالت هي التابعة
 قال: وماهي ؟ قالت : شيء كهينة لا شيء يكمن في الذاكرة ينبثق من
 الماضي فيورق الحاضر ويطفو على تخوم المستقبل، تخطف حاملها بين النوم
 والصحو فلا تزال به حتى تعرضه عن الكسب والنساء وتدني له النوائب
 والبلاء. هم أن يقصص عليها رؤياه لولا إنذار القطار بالوصول. قالت آخرُ
 مرافق القطار صحراء بها نبع ومقام ونزلت فكأنها ليل الصحراء ابتلعها...
 الليل من حوله مسافات صمت جليدي كثيب. بسط كفيه ليمسك خثر
 الدجى فما طاله. تخمس من أثر الشيخ فلم يأنس له نفسا وفتاة القطار
 تأرق ذاكرته... تلك الغاية الحكيم رأى بعينها مساحات عشب وزيتون
 وماء وبقاع الخدق هب وشواظ وفتاة. والجسد أفاض عليه غر الأنوثة
 حلاوة وبهاء لو كانت هنا لكفته بدت وكأنها مزيج فتاني قص الشيخ جمال
 الصغرى ورقتها لسان الكبري ومعرفتها...

في ما رأى قد يكون شاهد عيان أو جاء في القص قالت الصغرى لأختها
 وهي تسألها: ما الذي أحاط بالأمير؟ قالت: ليس الأمير سوى بدا فالوباء
 يعم وتطفح به المدن... تراجعت الصغرى والدهش يخطها قالت ستصبح
 مدن بلا ذاكرة .. مدن العته!!... قالت الكبرى: هذا ما يخشاه أبوك قالت
 الصغرى وفراغ بارد يعم فوائدها: لماذا بدأنا بسخط السلطان؟... تبسمت
 وأزاحت خصلة شعر فحمي من على ورد خد أختها وقالت لشيء في نفس
 ابيك وإزاورت عنها...

قال له أحد أهالي الربع على غفلة من القوم إن شيخ القصّ هو أبو الفتاتين وما الربع إلا أحد مدن العته وانطفاً من أمامه...

شخص وكان من الوجد قريب

في هذه الساعة من الليل في الصحراء تطفح الذاكرة كزبد الموج وتقذف على الشاطئ كأصداف نوح... أرواد الذكرى فتجد بني وتفيض الأشواق من همس ومن لحض... يا زمان السالكين في الصحراء زلفاً أين مني الغوى وأين مني الشجون...؟...

لم يأنس علامات ولا نجم به يهتدي فالظلام ركام مطبق وقبض الذاكرة ران على البصيرة. يغالبه نعاس سقم وامتلاء صور تنبعث من أحداث الزمن. ليل الصحراء صقيع جليدي يعض العظام ويقفأ الكلى. إكتسحه برد حاد ييس مفاصله وشتر دمهم فغدا الوجه والأطراف أشكالا محنطة لا يكاد يدركها... لهاث... والقلب يكابد الضخ في الجسد المحنط. البرد ينشر عظامه إشتدّ عليه الوجع.. إرتعاش... أضراس تقرع ودمع العين في الحجر يكاد يجلد. همّ بالتكور فما إستحابت المفاصل. يغص صراخه فيتن بالألم.. البرد يزداد والوجع يتعاضم، يستمر، ينخر العظام والنخاع، لن يتراجع قبل ذرة القرّ عند تجلد الأشياء وهبا آت الهواء، عند التحنط العضوي والعته الذهني. لحظة التوقف...

تكلس الزمن، عندها لاشيء، لا برد، لا وجع، لا زمن، لا حياة.... شبح الموت خيالات تطفح من العتم. أحلام الزمن الغض تنهاوى في عتم الحب. مقابر ردهات العمر والوهم طلسم يغشى الأمال يحالمها... عبث... عبث

هذا الموت الصّلف... عبث كثرق الربع... عبث كموج الرمل يغطي مدن
العتة... عبث كمقام شيخ القصّ بالربع، كبراز في النبع كولائم الإفك...
عبث كوهم التابعة كحمل سفاح كطعن في الرحم... عبث كاستمنا
الجهد، كنواح في الصحراء... عبث كحب عذري، كغزو ليلي، كسحت
ليلى كغدر ليلي عبث عبث... عبث كهذا الليل...

هناك ما بين العتم والعتم على مسافة الهدب والجفن، برق وامض خطف
بصره، صعق قلبه، تسارع الضخ، عبث الأطراف، توهج الذهن... بريق...
ومض... هب... شظايا جذوة..!!.. هل هوس عته هذا أم سراب ليل
الصحراء؟؟... بل مواقف نار تنفث لحيبها ضرعا في السماء... هب...
شواظ... نار... نار... تلك المتكبرة الآطب، في تمرد واستعلاء متصل منذ
سدم البدء الأول...

إستشعر دفنا بتوهج النهدي... حرا بمدار الحصر... لبا كعتان آلهة الحب..
سهدا كمحارق شهوة البكر... يا ليالي شهرزاد العطر خيرى عن بساط
السندباد ومخادن السلطان الألف، عن ممالك الجن ومهاود الوحش... أنا
قادم يا نار... قادم عدوا... حبوا... كبوا أو بين مخالب الرخ... وغاب
إدراكه

رفع البريق فتلألأت عينان كستنائيتان يذكر بريقهما قالت: غدا تقام
الحضرة ولك فيها نوبة تطهير ثم تحركت كتلة السواد نحو فجوة في القبو
علها منفذه إلى الخارج توقفت رن الصوت الرخم خلف البرقع: طريق النبع
للتطهيرن دفى: عم جسده فأذهب وجع المفاصل وقروح الجلد...

المكان يذكره قبو الريح عطر الجبال الصدئة وأبخرة مواقف الطين... لم
يساوره ريب في اللحاف الأسود يلف فتاة القطار

قال : حديثي عن المكان عن نفسك وعني...

قالت: إن الإنسان إذا تكلم كثيرا فالثرثرة والخبط. وسلكت طريقها في الفجوة رغبا... النفق ضيق. محفور في الصخر فجوات تتوالى بعضها سائب وبعض أحكم قفله... حتى إذا شارفت فناء النفق ترغمت ثم توقفت.. لحقها.. فإذا الفضاء على حياة فوهة بركان أو أثر إصطدام نيزك ضخم، طبقات الحجر الرملي والجص ناتئة صخورها، تتخللها أجمات سدر ونخل باسق لا يكاد يبين من كثافة بخار ماء حار ينفجر نبعه من خلال الصخر أشارت إلى الأحواض وزبر الطفل. فخالها هم بالخلع قال: بي رغبة في الجهر بالنحوى قالت انما النحوى لصاحب المقام ومولى الديوان. برّح به الكظم فصرخ: فررت من قوم أكلهم حصب الهوى وهان عليهم ربهم... قالت وهل يفر المرء من حكمه إلا لحكمه وتلاشى طيفها خلال أجمات السدر وضباب الأبخرة...

حر ... وراحة الكبريت والطفل تعبق أثر أسيل أصباغ. خرق تطفح طلاء أبيض... ضباب الأبخرة يعم فلا تكاد الروى تصدق... من أين بمسك ألقه ؟ طاق به وهن الحنين والذكرى كان يترصد غفلة القوم للخروج وقفت أمه عند الباب بصمت جلل عينها تفيض دمعاً حلقها يغصّ نواحا وقلبها يتفتر حزنا قالت: تغرب وأنت غريض الرهط لم تنكح ولم تصب... قال لم يعد الربع يسعني... قالت لك صدري قال: هو أرحب مها ود الدنيا لكن القوم استذلوا همتي قالت فالترهد فيهم وفي ما يأتون... قال: الشيخ أبذري.

فإستغشت ثيابها وأنفجرت عيناها بدمع منهمر، وغصص قلب منكسر وآهات صدر منكدر... فكأنما صرح بينه وبينها إندثر. كان رجاؤها عزيزا

وهي تلثم يديه ورقبته...دمعها الحارق يذيب قلبه، عينها تطفح وقهرا
وثكلا يصهر ما في الصدور والرؤوس. ضمته فكأنما تعيده إلى أحشائها. ألم،
وهن، فتور، حرقة، دفق أحزان يجرفه... يا هذا الوجع المنسي في...رحم
الدنيا...

دثر بلحدك فوادا مكلما...

أحس بكتفيه تنوء بحمل دهر مكلكل
كأنما لبث في أقبية المقام ألف سنة أو يزيد. أحيط بوحشته تعاضم به
الشجن...الإقبية والأنفاق هي هي الروائح ذاتها والصمت يمزقه فحيح أرواح
حانقة تاهت به الذكرى

كان الزمن مغيب ومجلس الشيخ يوشك بدؤه...

تاه داخل أنفاق قبر الريح. فراغ وصوت الزمن يرتد صدها على الأركان،
إنتابته خيفة أوجسها إستشعاره عظيمة البنيان. يلامس الأكم المسطور فيهبه
عرقن سواعد، دماء، أنختتها أسطورة الأزمان <http://Archi>

القبو مملكة شيخ القص هو الخبير بمنافخ الريح فيه، رياح القبو تأخذ الربع
على غير موعد فلا تبقى زرعا ولا ضرعا، لم تذر بيتا إلا وأنكلته في عزيز.
قال الشيخ: إن غضبا قدما يحيط بالربع فترسل عليه الرياح من فجوات في
القبو كلما استثارت أرواح ذاك الغضب المبهم: قال أحدهم فلنهدم القبو
وندفن غضبه

قال الشيخ: لقد حاول في من كان قبلكم، رأيتم غدير الطوب؟ كان ذاك
مكان ربيعهم، اقتلعت الرياح من قواعده فغدا تجويفا خاويا تركد فيه سيول
الجبال...

أفاق من غفوه، أثار بالحوض زبدا نقع جسده، الرطوبة ضيقت نفسه، أثار
حرقة بعينه، ذلك رأسه وغمغم لم يعد الربع بحاجة بغضب خارجي يدمره،
الآن ندمر بأيدينا:

- بنت السقاء هجرت زوجها لورم خبيث نتأ بعضوه
- أم الرطاب دفنت وليدها بحبله الصرّي قالت ولد ميتا ثم تردد أنه حيا
بدون أطراف ومنخر واحد وقيل حمل سفاح
- تزايد عدد المعتوهين والشحاذين
- جاهر الصوفي بشذوذه

- مقرر الربع أوصد كتابه وتاه في شعاب الربع ثم ظهر في مراكض الخيول
يضارب في التكروري

- صاحب الوراقة اتلف نفائسها ثم أوسعها وزخرفها ووضبها للكيف والقمار
- اجتثت زياتين الربع لإقامة مركزض ومسيح ومنتج على ضفاف غدِير
الطوب...
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- دخلت بنت منتجع الخدير وهي في صيفها السابع عشر ولم تبق حتى على
ورقة التوت، قالت والمدام يرنحها أنا بنت الديار
أنا بنت طرب وجسد مستطار

أقد الستار وأهتك ستر الليل قبل النهار
نعقت الحناجر بما سمعت والتهب الجمع... فألقت جسدها تتخطفه الأيدي
كأنها قبس من أثر الغيب حطّ بهم.

رحم الله شيخ القصّ كان في الربع وتدا أصله ثابت في غابر الأيام وفرعه
منطلق في سماء قادم الأزمان

لا ندري من أين جئى بالخطاب، نصبت المواعد فكانت أبراجا، حشر الناس بسفح كثبان أفواجا، كأنما فتحت بهم السماء أو القت بهم أحداث الرمل، وجئى بكرسي على هيئة عرش تحمله جمال رجل منتصب يكاد رأسه تلاحف عمامته السماء يوشك أن يصيب ملامح شيخ القطار وضع العرش على صخرة بباب المقام، ذرى أسمته الكثاين المحيطة نثر عليها جند بمشاعل وعلى رأسهم صعلوك القطار. اصطفّ الدقافون على يمين العرش ونافخي الأبواق على يساره ونادى مناد أنا فقدنا الطهارة في المقام ولمن يأت بذكرها عليه منا شفاعة وبركات.

ساد الحشد صمت ثقيل مبهم حتى حجبت الكثاين خيوط الشمس فاستحال المكان ظللا موحشا.

هناك صرخ الصعلوك كنيو ندر تالي بهم بالفتك فلم يستجب لصراخه. قبض على مشعل واندفع بكبوة يركض خلال أكادس الخطب، يزأر كأنما يطارد أرواحا خبيثة جثمت على البشر حتى إذا أتم تعاويذه راغ على فوج من النساء فوجد فيهنّ امرأة أجاءها المحاض فسحبها إلى سدرة العرش فإذا فتاة القطار تعتصر أحشائها...

أحس بشي يخالجه لم يحدث له من قبل، حدث نفسه بغرض لم يصبه من قبل.. لو لا هول الموقف لا ندفع ينصرها.. هي تتلوى كأفعى الرمل والصعلوك يرقبها ككفريسة تزهرق روحها، وقلبه يكاد ينفطر من الغيظ كلّما رنّ صراخها حتى إذا اشتدّ طلقها وحجبت غمم الرمل المثار رأيتهما.

جثم الصعلوك واجتث وليدا مزق صراخه صمت الحشد وقلبه فانسلت من عينه دمعة لم يعهد وردها من قبل. همّ بالعدو فإذا بالرمل يحاصره، هم بالصراخ فإذا حلقه لا يكاد يفتح، تعلّقت النافس بقدمي الصعلوك تطلب

وليدها وهو يرفعه إلى حضرة الشيخ ثم دخل به فجوة على جانب الصخرة بأمر من الشيخ والنفاس عالققة يقدمه يركلها كلما خطى خطوة:

تقدم الشيخ آخر نسل العمالققة وصرخ ستكون آخر نبوة تطهير سنجعلها بالرمل بالنار بالدماء ثم أشار إلى نافخي الأبواق فصعق الناس وإلى الدفوف فزلزلت الأرض وإلى الجند من أعالي الكشابين فأظمرت النار وكان الحشر... يمر الجند على الأفواج بصحف فيحث الرجل من الرمل كالوتد يطاف به على الحشد ثم يرفع إلى الشيخ فيأمر بقذفه في بالوعة الرمل أو أحاديذ الجمر وهو يصرخ ألا تسألوني وزري فيقال كفى بنفسك اليوم عليك سائلة

حتى إذا جاؤا في الربع واجتثه الجند وطافوا به على الحشد رأى من بينهم شيخ القص مغلا في الأصفاد وشدّ لسانه بمقامع من حديد وأميرا معتوها تناديه قينة حسناء وتراقصه أختها وفتاة منتجع الغدير تراود صعلوك القطار عن نفسه فيتمتع وكائنات الجنة وقد قلع غيلها يسون الرمل سفا وشبها قائما تائها في الصحراء يضم رضيعا وأشلاء مشيمة جيف وأمه هناك تعانق الحزن تسامره...

رفع إلى السماوات هناك حيث عمامة الشيخ تحاكي شفق الغروب وهو يرتحف كمن قطعت به السبل.

فلما مثل في حضرة من أمر بين أحاديذ الجمر وبالوعة الرمل وجده هيكلا قد من طين وحماء آمن يغشاه دخان من أسفله فينفث من مناخيره وصوت رجع صدا يرتد داخله. إعتصره الذهول وأفواج البشر باسطي أعناقهم لقصاص ذلّ حادع صرخ من عليائه في الحشد فحسبه متلناعا من أوزاره ومشفقا من حثفه حتى إذا قذف به في بالوعة الرمل تواصل صراخه قويا منقطعاً ثم باحا محشرجا حتى انكس.